جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الألفاظ السياسيّة في صبح الأعشى

-دراسة دلالية-

إعداد
أحمد حمدان حطاب الصعوب

إشراف
الأستاذ الدكتور علي الهروط

رسالة مقدّمة إلى
كلية الآداب استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

مؤتة، ٢٠٠٢م

جامـــعة مـــؤتة　　　　بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا　　　　**اجازة رسالة جامعية**

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالب أحمد حمدان الصعوب والموسومة بـ (الألفاظ السياسية في صبح الاعشى – دراسة دلالية) استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

الكلية: الآداب.

الأسم	التوقيع	التاريخ
المشرف أ.د. علي الهروط		١٢/٩/٢٠٠٢
عضو أ.د. سمير الدروبي		٣/٩/٢٠٠٢
عضو أ.د. عبدالفتاح الحموز		٧/٩/٢٠٠٢م

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينـــــة

الشكر والثناء

بعد الشكر لله عزّ وجلّ أولاً، فإنّني أتقدّم بجزيل الشكر، وعظيم العرفان من الأستاذ الدكتور علي الهروط بقبوله الإشراف على رسالتي، فقد أولاني كل اهتمامٍ ومتابعةٍ، ولم يألُ جُهداً في تقديم النُصحَ والإرشاد والتوجيه، فكان بحقّ نِعْمَ الموجّه الذي أفادني وأعانَني بآرائه وملاحظاته القيِّمة.

وأتوجّه بالشكر والتقدير من الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحموز، والأستاذ الدكتور سمير الدروبي لتفضّلهما بقبول مناقشة الرسالة، وتحمّلهما عناء قراءة الرسالة، وإبداء التوجيهات والإرشادات الهادفة إلى رفع مستوى هذا العمل، فجزاهم الله خير الجزاء.

الإهداء

إلى الروح الطّيبة الطاهرة في عليائها بإذنه تعالى

الأخ والخال الحبيب المرحوم محمد سليم الصعوب

(أبو طارق)

أسكنه الله فسيح جنانه،،،

فهرس المحتويات

الملخّص باللغة العربية

هذه دراسة بعنوان "الألفاظ السياسية في صبح الأعشى – دراسة دلاليـــة"، تُعـالج مجموعة من الألفاظ التي تتعلّق بالمفاهيم السياسية التي يمكن من خلالها الكشـــف عـــن تصوّر حقيقي للغة ذلك العصر.

لقد تنوّعت هذه الألفاظ بين ألفاظ القيادة والحكم مثل: السلطان، الملـــك، الرئيس، والألفاظ التبجيلية التعظيمية مثل: المعظم، الأفخم، الشريف. والألفاظ الخاصّة بالقصر من مثل: الديوان، الدستور، وألفاظ الحاشية والمقرّبين مثل: الحاجب، كاتب الســـر؛ إذ تمّـت دراسة بعض الألفاظ والكشف عن التطوّر الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر المماليك على وجه الخصوص، ومن ثمّ الوقوف عند دلالتها في العصر الحـــالي، وخرجت الدراسة بمجموعة من النتائج من أهمها:

أظهرت الدراسة أنّ المجتمع في العصر المملوكي كان يتشـــكّل مـــن العنصريـــن العربي والأعجمي، وبدا ذلك في عددٍ من الألفاظ المركّبة من الأعجمية والعربية. وبيّنـت الدراسة أن تطوّراً دلالياً حدث لبعض الألفاظ تمثّل في الرقي الدلالي لبعضها من جـــانب، والانحطاط لألفاظ أخرى من جانب آخر، والتعميم الدلالي والتخصيص الدلالـــي لألفـــاظ أخرى، ويضاف إلى ذلك الانتقال الدلالي لبعض الألفاظ من حقل دلالي إلى آخـــر. كمـــا تبيّن أنّ هناك تداخلاً دلالياً لبعض الألفاظ تمثّل بالتداخل السياسي والعســـكري والدينـــي والإداري.

وبذا تقدّم الدراسة الدلالية فائدتين مهمّتين؛ الأولى في دراسة الألفاظ وتتبّع تطوّر دلالتـــها وما يعكسه من حيوية اللغة وقدرتها على التعبير عن مجالات الحياة المختلفة، والثانية مـــا تقدّمه هذه الدراسة من تطور الحياة السياسية الذي اقتضى تغييراً في بعض دلالات الألفاظ شيوعاً وانحساراً، أو توسّعاً، وغير ذلك مما بيّنه البحث.

Abstract

Meaning of Political vocabularies in "Subhul A'ash"

-Terminological Study-

The research deals in some vocabularies related to political concepts, which were included in the book of "Subhul-A'asha". Such concepts may indicate the uses of language at the time of Mamlooks.

The said vocabularies included lists of leadership and authority vocabularies, such as Malik (King), Sultan and Ra'aeis (President); vocabularies of honorization such as Mo'atham (Majesty), Afkham (Magnificent) and Shareef (Sherif); vocabulataries of palace affairs such as Diwan (Court) and Dostoor (Constitution); and vocabularies of elite such as Hajib (Prime Minister) and Katibusiar (Secretary).

The research revealed the development of vocabularies meanings during different political eras, especially the Mamlook era; besides it stressed their meaning in the present. The research concluded the following results:

1- Mamlooks society composed of both Arab and Mamlook races. Such difference influenced the mixed and complex vocabularies of both origins.

2- There was development of vocabulary meaning either in highness or decline of same vocabularies, generalization or specificity of the same vocabulary from one field the another.

3- There was an interference in vocabulary meaning as in the political, military, religious and administrative uses of vocabulary.

Such research has two important advantages. The first one reflects the vividity of Arabic language and its ability to represent the different aspects of life. The second one shows the development of political life, which required a change in some vocabulary meanings either positively or negatively.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

هذه دراسة لمجموعة من الألفاظ السياسيّة في كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي. إذ تعدّ السياسة من نظم الحياة التي تعمل على نمو الألفاظ اللغويّة وتطوّرها، فتغيّر الحياة السياسيّة يترك أثراً واضحاً في اللغة، إذ تظهر ألفاظ جديدة، وتُهجر ألفاظ أخرى، لم تعدّ الحاجة إلى استعمالها؛ لأنّ ثمّة مفاهيم أخرى حلّت مكانها.

وقد أشار عليّ أستاذي الدكتور علي الهروط أن أدرس دلالة الألفاظ في كتاب "صبح الأعشى" لتحديد مادة الدراسة وعصرها؛ لأنّ كتاب "صبح الأعشى" من الكتب التراثيّة الغنيّة بالألفاظ، فهو موسوعة ضخمة يجمع بين الأدب والسياسة والتاريخ وغيرها من العلوم، ويؤرّخ لحقبة زمنية مهمّة في التاريخ العربي، نمت خلالها كثير من الألفاظ والمصطلحات اللغويّة التي تتطوّر وتتشكّل مع مرور الزمن.

وصاحب كتاب (صبح الأعشى) هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفزاري القلقشندي، نسبة إلى مدينة قلقشندة في مصر، ولد سنة ٧٥٦هـ، وتوفي سنة ٨٢١هـ، وهو أحد كبار أدباء العصر المملوكي[1].

---

(1) من المصادر التي ترجمت لحياة القلقشندي:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ج٢، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص٨.
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ج٤، القسم الأول، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٧٣-٤٧٤.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي، ج٢، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ص١٣٢.

وانظر دراسة تفصيلية عن القلقشندي وكتابه: أبو العبّاس القلقشندي أديباً، أحمد عبد الرحمن الذنيبات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠١م، ص١ وما بعدها.

وتضمّن كتابه مقدّمة وعشر مقالات، تناولت مواضيع متعدّدة، وطبع في أربعـــة عشـــر مجلّداً.

ووقع الاختيار على مجموعة من الألفاظ التي تتعلّق بالمفاهيم السياسيّة، وهذا جانب مـــهم لأخذ تصوّر حقيقي للغة ذلك العصر، وهي دراسة ترتبط بعلم الدلالة. فقد اهتم الباحثون العـوب بدلالة الألفاظ منذ نشوء الحركة العلميّة في القرن الثاني الهجري، إذ يجمع البـــاحثون علـــى أنّ البحث في دلالة الألفاظ نشأ منذ عصر التدوين، خدمة للقرآن الكريم، والحديث الشـــريف، ممّـــا أدّى إلى ظهور المعاجم.

فلقد تعدّدت المؤلفات العربية القديمة التي بحثت في مختلف القضايا الدلالية، من اشـتراك، وأضداد، وترادف، وحقيقة، ومجاز، وما يتّصل بالمعرّب والدخيل، فمن هذه المؤلّفات: الصاحبي لابن فارس، (ت٣٩٥هـــ)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، (ت٣٩٥هـــ)، وفقـــه اللغـــة للثعالبي، (ت٤٢٩هـــ)، والمعرّب للجواليقي، (ت٥٤٠هـــ)، والمزهر للسيوطي، (ت٩١١هــــ)، وغيرها.

واستمرّ الاهتمام بدراسة الألفاظ حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من علم اللغة الحديـث؛ لأنّ الدلالة المتعلّقة بالألفاظ محكومة بالمستجدات الحضاريّة والثقافيّة، والسياســـيّة، والاجتماعيّـــة، فدلالة الألفاظ تتغيّر وتتطوّر باستمرار وفقاً لهذه المستجدات.

ومن المؤلّفات الحديثة التي عنيت بموضوع الدلالة: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيـــس، علـــم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد الكراعين، علم الدلالة النظرية والتطبيق: فايز الداية، والتطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة دلاليّة مقارنة، عـــودة أبـــو عـــودة، وغيرها.

ومن مؤلفات علماء الغرب في هذا المجال: علم الدلالة: بيير جيرو، علم الدلالة: بـــالمر،

وعلم الدلالة: كلود جرمان، وغيرها.

ووفقاً لهذا، يهدف البحث إلى تتبّع بعض الألفاظ السياسيّة، والوقوف عند المتغيّرات التي خضعت لها من حيث إحياء بعض الألفاظ، والرقي الدلالي لأخرى، وهجر بعضها الآخر، ودراستها دراسة علميّة تحليليّة اعتماداً على المصادر التاريخية والمصادر اللغويّة.

كما يهدف البحث إلى بيان دلالة بعض الألفاظ، وطريقة لفظها في لغات أخرى كالفارسيّة والعبريّة، وغيرها؛ لملاحظة إن كان ثمّة فروق دلاليّة للألفاظ بين العربيّة واللغات المذكورة.

وبالنسبة للدراسات السابقة فإنّني لم أعثر على أيّة دراسة سابقة في التطور الدلالي للألفاظ في كتاب "صبح الأعشى"، في حدود العلم والاطلاع، وقد وردت معالجات جزئيّة لبعض الألفاظ في مراجع حديثة، أذكر منها:

- دراسة حلمي خليل في كتابه "المولد"، وقد عالج لفظتي (خليفة) و (أمير)، وبيّن المعاني المعجميّة والتطوّر الدلالي للفظتين.
- دراسة حسن الباشا بعنوان "الألقاب الإسلاميّة"، تناول مجموعة من الألفاظ الواردة في هذه الدراسة تناولاً تاريخيّاً، مثل: خليفة، وأمير، ورئيس، والسيِّد، وخادم الحرمين الشريفين، إذ لم يدرس هذه الألفاظ دراسة لغوية دلالية.
- دراسة البدراوي زهران في كتابه "علم اللغة التاريخي"، عالج بعض الألفاظ مثل: الخاصكيّة، المهمندار، عالجها معالجة صرفيّة، وخلص إلى أنّ الواقع اللغوي في ذلك العصر فرض الاستعمال اللغوي لتلك الألفاظ، لكنه لم يتتبّع التطور الدلالي لمثل هذه الألفاظ، وهو ما بيّنته الدراسة.
- وتناول إبراهيم أنيس في كتابه "دلالة الألفاظ" بعض الألفاظ مثل: سلطان، ملك، وزير، تناولاً دلاليّاً من حيث رقي الألفاظ وانحطاطها دلاليّاً، دون الإشارة إلى اشتقاقاتها

اللغوية.

- هناك بعض الموسوعات التي وردت فيها معالجات لبعض الألفاظ، وقد أثبتها في موضعها من مثل: دائرة المعارف الإسلاميّة، وموسوعة السياسة، وموسوعة الحضارة العربية والإسلاميّة، ومعجم العالم الإسلامي، ومعجم المصطلحات السياسيّة، حيث تناولت هذه الموسوعات مجموعة من الألفاظ تناولاً تاريخياً، مثل: الأمير، والخليفة، والسلطان، والقنصل، والملك، والوزير.

وقد تمّ الاعتماد أيضاً على معاجم حديثة، ومن أهمها: معجم دوزي، حيث تمّ إضافة بعض المعاني التي لم ترد في المعاجم العربية، لبعض الألفاظ، مثل: الحضرة، والخادم، والشريف، والمقام، والمقرّ.

وقد اقتضت هذه الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي؛ لأنّ المنهج التاريخي يكشف التطور الدلالي للألفاظ واستعمالها في أقدم النصوص على مرّ العصور، وتفيد الدراسة من المنهج الوصفي في وصف استعمال هذه الألفاظ، ودلالتها في عصر القلقشندي. كما تستعين الدراسة بالمنهج المقارن الذي يعنى بدراسة الألفاظ في اللغات الأخرى، ومقارنتها من حيث الاستعمال والدّلالة واللفظ مع اللغة العربية.

وبنيت الدراسة على ثلاثة فصول وخاتمة.

خصّص الفصل الأول للحديث عن ألفاظ القيادة والحكم التي سادت في عصور وأزمنة مختلفة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحالي، منها ألفاظ عرفت قديماً كلفظ الملك والوزير، وأخرى استحدثت في الدولة الإسلامية الأولى كلفظ الخليفة، وبعضها عرفت في العصر العباسي كلفظ النائب، وبعضها اختصّ بزعماء أهل الكفر كما يسمّيها القلقشندي: مثل القنصل والرئيس، وتمّ في هذا الفصل تتبّع الاشتقاق اللغوي لهذه الألفاظ، وبيان التطور الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر القلقشندي على وجه الخصوص، ومن ثمّ الوقوف عند دلالتها في العصر الحالي، وبيان مدى التطور الدلالي الذي طرأ عليها.

وتناول الفصل الثاني بعض ألفاظ التبجيل والتعظيم التي سادت في عصر المماليك، ولكنها تعود في أصلها إلى عصور سابقة مثل المعظم، الأفخم، الحضرة، خادم الحرمين الشريفين: حيث عرض الفصل لدلالة هذه الألفاظ في عصر المماليك والعصور التي سبقته، وبيان التطور الدلالي الذي حصل لها بمقارنتها في العصر الحالي.

وبحث الفصل الثالث في الألفاظ الخاصة بالسلطنة، من مثل: ديوان الإنشاء، الذي يستقبل المراسلات السلطانية ويصدرها، وفيه أسرار وخفايا السلطنة، وكذلك الحديث عن ألقاب الحاشية والمقرّبين مثل: الحاجب، وكاتب السر، والمهمندار. والحديث عن المراسيم والعلامة السلطانية والدستور، ومن ثمّ بيان التطور الدلالي الذي حصل لمثل هذه الألفاظ في العصر الحالي.

ثمّ الخاتمة، وقد أجملت فيها أهم نتائج البحث.

أمّا مصادر الدراسة ومراجعها، فقد تمّ الاعتماد على مصادر ومراجع كثيرة تتّصل بموضوعات الدراسة، مثل الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، ودواوين الشعر الجاهلي، والمعاجم اللغوية، وكتب التاريخ، والمعاجم السياسية، والمراجع اللغوية والتاريخية الحديثة.

ونظراً لكثرة الألفاظ الواردة في (صبح الأعشى) التي يمكن تناولها في معالجة الألفاظ السياسية، فقد اقتصرت في هذا البحث على عينة من الألفاظ المستخرجة من صبح الأعشى، مقسّمة إلى ثلاثة أنواع كما هو مبيّن في خطة البحث.

وقد وردت آراء للقلقشندي في تاصيل بعض الألفاظ، فاجتهدت بأن أجعل جذور الكلمة عربية -ما أمكن- على أن لا يكون في هذا التأصيل تكلّف، أو مشقّة، وهو نهج سبق إليه الطبري وذكره في مقدّمة تفسيره[1].

وأخيراً، فإنّ هذا العمل اجتهاد، لا يخلو من الخطأ، أو النقصان، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فأسأله وحده المغفرة.

---

(1) تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، (د.ط)، ج١، ص٣٣-٣٤.

الفصل الأوّل

ألفاظ القيادة والحكم

تُعدُّ السياسة نظاماً من أنظمة الحياة التي تعمل علــى تطــوّر اللغــة ونموّهــا، فالتحوّل من نظام سياسي إلى نظام آخر يترك أثره في اللغة، فتظــهر ألفــاظ جديــدة، وتندثر أخرى، كما يبدو ذلك في بعض ألفاظ القيادة والحكم. فألفاظ القيــادة التــي يتــم تناولها في هذا الفصل هي من الألفاظ التي سادت في عصور وأزمنــة مختلفــة، منــذ العصر الجاهلي حتى العصر الحالي، فمنها ألفاظ عرفت قديماً؛ كلفظ الملك، والوزيــر، وأخرى استُحدِثت في عهد الدولة الإسلامية الأولى: كلفظ الخليفة، وأخرى فــي عــهد الأمويين؛ كولي العهد، وبعضها عرف منذ العصر العبّاسي؛ كلفظ "النــائب". وبعــض الألفاظ التي اختصّت بزعماء أهل الكفر كما يسمّيها القلقشــندي، مثــل "الرئيــس"، و" القنصل".

وقد فسَّرَ القلقشندي معاني بعض هذه الألفاظ، وذكر الاشــتقاق اللغــوي لــها. ويتناول هذا الفصل هذه الألفاظ من حيث المعنى والاشتقاقات اللغوية لها، وبيان التطوّر الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر القلقشندي على وجه الخصوص، ومن ثمّ الوقوف عند دلالاتها في العصر الحالي؛ ليتسنّى للدارس بيان مــدى التطــوّر الدلالي لمثل هذه الألفاظ.

- **الأمير:**

يُعدُّ هذا اللقب وظيفة قديمة، أوردها القلقشندي في الألقاب المتداولة في الحكم إلى زمانه، وقد وضعها تحت ألقاب أرباب السيوف[١]. والأمِير في اللغة صفة مشبّهة على زنة (فعيل) مشتقّ من مادة (أمَر) فهو أمير، والجمع أُمراء[٢].

ورد لفظ الأمير في شعر عروة بن الورد بمعنى المُستَشار، في قوله:

ألاَ يا ليْتَني عَاصيْتُ طَلْقـــــاً وجبَّاراً ومَنْ لي مِنْ أميـــــرِ[٣]

وورد في شعر الأعشى بمعنى قائد الأعمى:

إذا كانَ هادي الفتَى في البلا دِ صَدْرَ القناةِ أطاعَ الأمِيـــرا[٤]

وورد اللفظ صريحاً في الحديث الشريف بمعنى الناصح والمستشار، قال صلى الله عليه وسلّم: "**إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جعل له وزيرَ صدقٍ إن نسي ذكّره، وإنْ ذَكَرَ أعانه**"[٥]. وقال عليه السَّلام: "**أميري من الملائكة جبريل**"[٦].

ولفظ أمير: من أمَر، "**الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمْرُ من الأُمُــور، الأمْر ضدّ النهي، والأمَر بفتح الميم النَّماء والبركة، والمَعْلَم، والعَجَب**"[٧]، وقيل :إنّـــه

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٩.

(٢) اللسان، مادة (أمر).

(٣) ديوان الصعاليك، شرح يوسف فرحات، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٨.

(٤) ديون الأعشى الكبير "ميمون بن قيس"، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، ص٩٥.

(٥) صحيح ابن حبّان، الإحسان في تقريب ابن حبّان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ج١٠، ص٣٤٥.

(٦) النهاية، ٦٦/١.

(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء الكتب، ١٣٦٦هـ، مادة (أمَر).

لأمُور بالمعروف، نَهِيٌّ عن المنكر من قومِ أُمُر"، ومن هـذا البـاب اشـتقّت الإِمـارة والأمَارة، وصاحبها أمير، ومؤمَّر[١].

والأميرُ: "**المَلِك لنفاذ أمره، بيّن الإِمَارة والأمَارة، والجمع أُمَراء. وأمُرَ الرجـلُ يأمُر إمارة إذا صار عليهم أميراً، وأُمِّر فلان، إذا صُيِّر أميراً**"[٢].

والأمير: "**زعيم الجيش أو الناحية، ونحو ذلك ممّا يوليه الإمـام وهـو فعيـل بمعنى فاعل، فيكون هو أميراً بمعنى آمر، سُمّي بذلك لامتثال قومه أمره**"[٣]. فـالأمير يطلق على المُستشار، والمَلِكُ، والزَّعيمُ، وقائد الأعمى.

وفي دائرة المعارف الإسلامية أنّ لفظة أمير دخلت إلى العربية من اليونانيـة، وهي تعني باللاتينية (Amirtus-Amiralus)، واشتقّ منها "Admiral"، وينطق بها في الفارسية "مير"[٤].

ويعدّها الثعالبي من الألفاظ الفارسية، إذ إنّه أوردها مع غيرها من الألفاظ فـي كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) تحت عنوان "**في سـياقة أسـماء فارسـيتها منسـية وعربيتها محكية مستعملة**"[٥].

وهذا شأن الكلمة في رحلتها التاريخية داخل اللغة الواحدة وخارجها، فإنّـها قـد تنتقل من لغة إلى أخرى ثم تعود إلى لغتها الأصلية فلا تعرف لدى أهلها؛ لأنّ الرحلـة طويلة زمنياً قد تستغرق آلاف السنين، ولهذا صدق تعبير الثعالبي في بعض عناوينـه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (أمر).
(٢) اللسان، مادة (أمر).
(٣) صبح الأعشى، مصدر سابق، ج٥، ص٤٤٩.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أمير).
(٥) فقه اللغة وسرّ العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق فائز محمد، ط٢، دار الكتـاب العربـي، بـيروت، ١٩٨٦، ص٢٧٢.

عندما قال "**فارسيتها منسية**"[١]. فكأنّما يريد أن يقول: إنّ هناك كلمات عربيـة منسـيّة أيضاً.

ويرى إبراهيم أنيس أنّ نصف ألفاظ اللغة الفارسية الحديثة مستعارة من اللغـة العربية، وأنّ معظم الكلمات في اللغة التركيّة مستعارة من العربية[٢]، ويقـول: "**ولعـلّ بعض الكلمات السامية قد استعارتها الفارسية في عصور متوغل في القدم، ثمّ عـادت إلى العربية على أنها فارسية**"[٣].

ويرى حلمي خليل أنّه احتمال بعيد أن تكون أمير لفظة فارسيّة، وذلك لأصالـة مادة "أمر" في العربية واللغات السامية[٤]. فجاء في اللغة الأثيوبية "أمّـر" ammra > بالتشديد، بمعنى (عرف)، أو أخبر، أو أرى، وفي العربية الجنوبيـة mr < "أمْـر" بمعنى علم أو أشار، وفي العبريّة amar< أأمر بمعنى قال، وفي الآراميـة amar< ، وفي السريانية emar< [٥]. فهي تفيد معنى القول؛ لأنّ أقوى ما في الأمير قوله الـذي ينفذ.

ويُزاد على ذلك وجود مشتقات كثيرة لمادة "أمير" في اللغة العربية[٦]، إذْ يرجّـح حلمي خليل أنّ لفظة "أمير" أصلها في العربية ثم انتقلت إلى اللغات الأوروبية، والدليـل

---

(١) فقه اللغة وسرّ العربية، ص٢٧٢.

(٢) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص١٥١.

(٣) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص١٢٩.

(٤) المولد في العربية، حلمي خليل، ط٢، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٨٥، ص٤١٤، نقلاً عن Gesenisus 55.

(٥) دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، يحيى عبابنة، ط١، دار الشروق، ٢٠٠٠، ص٢٥٢.

(٦) المولد، ص٤١٤.

على ذلك كلمة "أدميرال" والتي يقال: إنّها مشتقّة من لفظة "Amiratus" اليونانية الأصل، هي كلمة عربية الأصل، وتعني أمير البحر[١].

ويبدو أنّ كلمة "أمير" عربية الأصل، لهمزها، وبنائها، ودورانها في اللسان العربي مركّبة ومفردة. وربّما تكون لفظة "مير" الفارسية هي لفظة عربية، ثمّ أُدخلت إلى اللغة الفارسية كغيرها من الألفاظ، وجرى التغيير عليها بحذف الهمزة.

لقد عُرِف مصطلح الأمِير الدّال على القيادة والحُكم في بدايات الدولة الإسلامية، إذ كان يطلق على قادة الجيش في المعارك، فأطلق علي قادة مؤتة "وودّع النّاس أُمَراء الرسول صلى الله عليه وسلّم[٢].

وقد مُيّز بين نوعين من الإمارة: إمارة الاستكفاء، والتي تعقد عن اختيار، وإمارة الاستيلاء وتعقد عن اضطرار[٣].

ولم يُقتصر استعمال لقب "الأمير" وظيفةً، فقد استخدم لقباً فخرياً في العصر الأموي، إذ كان يطلق على (وُلاةِ العَهْد)، ثمّ استعمل بمعنى (الوَالي) في الدولة الفاطمية، وورد اللقب في عصر السلاجقة، وأطلق على أفراد من الأسرة الأيوبية[٤]. وانتشر اللقب في المغرب العربي، في عهد (الأغالبة)، وبني زيري، وبني حماد. ومن

---

(١) المولد، ص٤١٤-٤١٥.

(٢) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مجلد٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ١٤٩.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، دار الحرية، بغداد، ٩٨٩، ص٥١-٥٧

(٤) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٨١-١٨٤

مميّزات الحكم عند بني زيري الذين حكموا تونس (٣٦٢-٥٥٥هـ)، أنّ للأميرات دوراً كبيراً في القيادة، وكنّ يتمتّعن بمكانة خاصة وتأثير في البلاد(١).

وقد استعمل اللفظ مُضافاً إلى ألفاظٍ أخرى، من أهمّها "أمير المؤمنين"، وهو لقب عام للخلفاء، أول من لقّب به سيدنا عمر رضي الله، وقيل إنّ علي بن أبي طـــالب أول من لقّبه بذلك، وقيل عمرو بن العاص(٢).

ويعود السبب في استخدام هذا اللقب: "**لما لهذا المصطلح مـــن صـــلات وثيقـــة بوظيفة صاحب السلطة والحكم، فالقرآن الكريم يســـمي السّياســـة وشـــؤون الحكـــم "الأمْرُ"**(٣): قال تعالى: ﴿وأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُم﴾(٤). وأيضاً رغبة سيدنا عمر -رضـــي الله عنه- في لقب لا شُبهة فيه، فهذا اللقب تنتفي عنه شبهة الوراثة لسُلْطان النبي الدينـــي، وطابعه السياسي ينفي عنه شبهة الاستبداد الملكي التي كانت سائدة في ذلك العصر(٥).

ويُزاد إلى ذلك استثقال عمر أن يكون لقبه خليفة خليفة رسول الله(٦). وقد ســـار على نهجه الخلفاء الأمويون، والعباسيون، والعلويون(٧). وفي عصر الممــــاليك، كـــان الأمراء يتدرّجون في ترتيب معيّن من أمير خمسة إلى أمير عشرة إلى أمير أربعين إلى

---

(١) مفهوم الملك في المغرب، محمد ولد دادة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بـــيروت، دار الكتـــاب المصـــري، القاهرة، ١٩٩٧، ص٤٥، ٨٤، ٨٨، ٩٢.

(٢) صناعة الكتّاب، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق بدر أحمد ضيف، ط١، دار العلـــوم العربيـــة، بيروت، ١٩٩٠، ص٩٦؛ وتاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـد، (د.ط)، (د.ت)، ص١٣٨.

(٣) موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٣٤.

(٤) الشورى، آية ٣٨.

(٥) موسوعة السياسة، ص٣٣٤.

(٦) موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، حسن حنفي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بـــيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩٩.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أمير).

أمير مئين[١]، ويقصد بالخمسة والعشرة وغيرها عدد ما تحت إمرة كل واحد منهم من الفرسان.

ومن مركبات هذه الكلمة في العصر المملوكي:

- **أمِيرْ مَجْلِس: "وهو لقب من يتولّى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره، والأحسن فيه أن يقال: "أمير المجلس" بتعريف المضاف إليه، وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهني، إمّا مجلس السلطان وإمّا غيره"[٢].**

ويلاحظ بأنّ القلقشندي يعيد صياغة التركيب الدخيل ليتّفق مع نظام الصرف العربي[٣]. وأمير مجلس يمثّل رئيس ديوان التشريفات[٤]. ويقابل مصطلح الحاجب في العصور التي سبقت القلقشندي.

- **أمير سِلاح:** يطلق على صاحب منصب من أهم المناصب في دولة المماليك في مصر، وكان أمير السلاح يشرف على دار السلاح الملكية والجيش، ومقامه الثاني بين كبار الأمراء[٥].

- **أمِير آخُورْ:** "ينطق به في الفارسية "مِيْرآخور"، أي القائم على الإسطبل، وهي وظيفة يشرف متوليها على اسطبل السلطان أو الأمير، ويتولّى أمر ما فيه من الخيل، والإبل، وهو مركّب من لفظين: أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو "آخُور" ومعناه

---

(١) صبح الأعشى، ج٤، ص١٤، ١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٥٥.
(٣) في علم اللغة التاريخي، البدراوي زهران، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص٣٠١.
(٤) دائرة المعارف، مادة (أمير).
(٥) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٦.

"المعلف"[١]، وفي المعجم الفارسي آخُر وآخُور، ومعناهما "اصطبل"[٢]، فيكون أمِيرآخُور "أمير المَعْلَف"؛ لأنّه المتولّي لأمر الدواب[٣].

- **أمِيرْ جَانْدَار "وجَنْدَار"**: لقب لمن يأذن بالدخول على الأمراء وغيرهم في المواكب وعند الجلوس في دار العدل، وهو مركّب من ثلاثة ألفاظ: أحدها عربي، وهو "أمير"، والثاني "جان"، ومعناه الرُّوْح بالفارسية والتركية، والثالث "دار" ومعناه مُمْسِك"، فيكون المعنى "**الأمير المُمسك للروح، ومعناه الحافظ لدم السلطان، فلا يأذن عليه إلاّ لمن يأمنه**"[٤]، ومعناه عند (شير) حارِس ذات المَلِك[٥]. ويُفهم من المعنى أنّ أميرْ جَانْدار لا يأذن في الدخول على المَلِك إلاّ لِمَن يأمَنه.

وبعد استعراض بعض هذه الألفاظ المركّبة نلحظ مدى تأثّرها باللغة الفارسية؛ فاللغة العربية من اللغات الإنسانية تتبادل التأثير والتأثّر، وهي تقرض غيرها وتقترض منها، متى تجاورت واتّصلت بها، والتأثّر بالفارسية كان منذ القدم[٦].

وأصبح لقب أمير عند الأتراك مرادفاً "لبك"[٧]، أمّا في العصر الحديث، فتعدّ "الإمارة" شكلاً من أشكال النظم السياسية التي نجد لها تطبيقاً في البلاد العربية، وتعدّ من تطبيقات النظام الملكي، ومن نماذجه دولة الإمارات العربية[٨].

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦١.

(٢) المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤٠.

(٣) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦١.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٦١.

(٥) معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، السيد آدي شير، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ص٤٦.

(٦) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ص٣١٤، ٣١٥.

(٧) معجم العالم الإسلامي، كلوس كريزر وآخرون، ترجمة كتّورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ص٩٢.

(٨) معجم المصطلحات السياسية، علي هلال وآخرون، ط١، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٨٠.

- **البَرِيديّ:**

جاء في صبح الأعشى **"من الأمور التي يتصرّف فيها صاحب الديوان، نظره في أمر البَريد ومتعلقاته، وهو من أعظم مهمّات السلطان، وآكد روابط الملك"[١].**

والبريد "bariyd" من بَرَد "barada" مصدر على زِنة (فعيل)، والنسبة إليها (بَريدِيّ)، "والجمع بُرُدْ"[٢]. والبَريد أصله في اللغة، المسافة، وهي فرسخان، والبريد: الرُسل والرسائل التي معهم[٣]، وتدلّ البَريد في اللغة على المرتَّب، والرَّسُول، والفُرانِق، وابن آوى، والمسافة بين السكّتين[٤]، ثمّ انتقلت دلالتها لتدل على الرسائل المكتوبة التي تنقل من مكان إلى آخر.

ورد اللفظ "البريد" بمعنى بغال البريد في قول امرئ القيس:

على كلِّ مقصوصِ الذُّنابي معاودِ   بريدَ السُّرَى بالليلِ من خيْلِ بَرْبَرا[٥]

وجاء اللفظ في الحديث الشريف بمعنى "الرسول والسفير"، قال صلى الله عليه وسلّم: "لا أخِيس العَهْدَ، ولا أحبس البُرْدَ"[٦]؛ أي: لا أحبس الرسل الواردين عليّ"[٧]، والبُرْدُ مخفَّفة من البُرُد كرُسُل ورُسْل ليزاوج العهد بسكون الهاء[٨]. وقال صلى الله عليه وسلّم: "إذا أبردتم إليَّ بريداً فابعثوه حسن الوجه"[١]، فالبَريد مصدرٌ من (بَرَد)،

---

(١) صبح الأعشى، ج١، ص١١٤.

(٢) اللسان: مادة (بَرَد).

(٣) اللسان: مادة (برد).

(٤) اللسان: مادة (برد)؛ وتاج العروس: مادة (برد).

(٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق أنور أبو سويلم، علي الهروط، ط١، دار عمّار، عمان، ١٩٩١، ص١٤٨.

(٦) سنن أبي داود: أبو داود سليمان الأشعث السجستاني، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد، ج٣، كتاب الجهاد، دار الفكر (٢٧٥٨).

(٧) اللسان: مادة (برد).

(٨) اللسان: مادة (برد).

وسلّم: "إذا أبردتم إليّ بريداً فأبعثوه حسن الوجه"(١)، فالبَريد مصدرٌ من (بَـرَد)، وقال بعض العرب "**الحُمّى بريد الموت أي رسول الموت تنذر به**"(٢).

قيل إنّ البريد لفظة فارسية الأصل، تعني "البَرْد"، وأصلها "برده دم"؛ أي محذوف الذنب؛ لأنّ بغال البريد كانت محذوفة الأذناب علامة لها، فعرِّبت وخفِّفت، وسمّي الرسول الذي يحملها بريداً. والمسافة بين السكتين بريداً(٣).

وقيل أصله فارسي من (بَرْدن)، أي نقل حمل، وقيل أصله رومي "veredus"، وهو دابّة البريد، بمعنى مفعول، ويفضل شير"، الأصلُ الرومي على الفارسي(٤).

وقيل إنّ "بريد" العربية استعيرت من الكلمة اللاتينية "veredus"، ومعناها "دابّة البريد، أو حصان البريد"، ثمّ ناقل البريد(٥).

وذهب (الخليل) إلى أنّه عربي مشتقّ من بَرَدْتُ الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه، وقيل من أبْرَدْتُه، إذا أرسلته، وقيل من (بَرَد) إذا ثبت؛ لأنّه يأتي بما تستقر عليه الأخبار(٦)، ولو أخذنا بقول الخليل لكانت (بَريد) من (بَرَد) على زنة (فعيل) بمعنى مفعول، أو من (أبْرَد) واسم المفعول (مُبْرَد). ويعرض القلقشندي المعنى اللغوي

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحافظ السيوطي، مجلد ١، ط١، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٩، ص٢٥٧.

(٢) اللسان، مادة (برد).

(٣) المصدر نفسه، مادة (برد).

(٤) كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٨، ١٩.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بريد).

(٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، ج٨، مؤسسة دار الهجرة الثانية، إيران، ١٤٠٩هـ، مادة (برد)، ص٢٩.

والاصطلاحي للبريدي دون أن يبدي رأيه، حول أصالة هذا اللفظ، إذ اكتفى بعرض المعنيين؛ اللغوي والاصطلاحي[١].

ويبدو أنّ هذه اللفظة عربية، لسببين أولاهما: ورودها في الحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، والمعاجم اللغوية، وكثرة الاشتقاقات منها، وثانيهما، أنّ هناك من يشكّك في أصالتها الفارسية وينسبها إلى الرومية كما ذكر ذلك آدي شير.

ويذكر إبراهيم أنيس أنّ الدّلالة تبدأ أحياناً بالمحسوسات ، ثمّ تتطوّر إلى الدلالات المجرّدة بتطوّر العقل الإنساني ورقيّه، فكلما ارتقى التفكير العقلي، عمد إلى استخراج الدلالات المجرّدة وتوليدها، والاعتماد عليها في الاستعمال[٢].

لقد وثقت اللغة أصل كلمة البريد، وهو الدّلالة على أذناب الدواب التي تحمل البَريد، أو المسافة التي هي فرسخان، أو البُرد نحو بَرَدتُ الحديد، وانتقالها إلى دَلالة متمثلة بوظيفةٍ يقوم بها الشخص المكلّف بالرسائل أو الرسائل نفسها، ويرتقي الرسول أو ينخفض بارتقاء الطرفين، المرسل والمرسل إليه، أو أحدهما. فالكلمات في عمرها المعجمي قد تموت أو تتنحى جانباً، أو يجري لها انتقال من الحقيقة إلى المجاز، وهذا ما حصل مع كلمة (بريد). فالعربية توسّعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلبي حاجات الحياة، فنقلت بعض الألفاظ من الأصل الحسّي لها إلى الاستعمال المجرّد[٣].

وقد ارتقت اللفظة في العصور الإسلامية الأولى إلى معنى "السفير" لتدلّ على حامل الرسائل، وتأتي أهميته من الرسائل التي يحملها. ثمّ أخذت دلالة الكلمة في التخصّص لتدل على المادة المرسلة في العصرين الأموي والعبّاسي، إذ أصبحت وسيلة

---

(١) صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) دلالة الألفاظ، ص١٦١.

(٣) المولد، ص٢١٢.

مهمّة في إدارة شؤون الدولة[١]، واستمر استعماله في عهد الأيوبيين، ثمّ في دولة المماليك، والدولة العثمانية[٢]. ومن المهام التي أُنيطت بالبريدي وكلّف القيام بها: نقل الرسائل والمراسيم والأخبار من مركز الدولة إلى عمّالها ورجالها في الأقاليم، والقيام بالرقابة الماليّة والإدارية والقضائية على عمّال الدولة، ورفع أخبار ذلك للحاكم، وحفظ الطرق من اللصوص والقطّاع والجواسيس، ونقل الجند والإمدادات العسكريّة عند الحاجة، ونقل السلطان وكبار رجال الدولة والسفراء الواردين على الدولة[٣].

ويصف القلقشندي البَرِيديّ وما يجب أن يتحلّى به من الصفات "**أن يكون قديراً على تنميق الكلام وتحسين العبارة، مؤدياً للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقاً، بريئاً من الطمع، وعلى مرسله امتحانُه قبل توجيهه إلى مقاصده**"[٤]. وهذه الصفات الشخصيّة التي يُعْرف بها السفراء في وقتنا الحاضر، إذ لا يُخْتار لهذه المهمة إلاّ من اتّصف بهذه الصفات، وتُجرى لهم مسابقات لاختيار المناسبين منهم.

وكانت للبريدي ألواح من فضّة تحفظ في ديوان الإنشاء، إذ يوضع اللوح في عنقه ليميّزه عن باقي موظفي الدولة، إذا كان مسافراً في مهمة ما[٥].

ومن الألقاب التي أطلقت على البريدي لقب "السفير"، وهو الرسول والمصلح بين القوم يتولّى مهمة السفارة عن الملوك والدول، وهو من الألقاب الخاصة بالدوادار[٦].

---

(١) صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بريد).

(٣) رسالة رصف الفريد في وصف البريد، أحمد بن أبي الفتح الشيباني، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمان، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٦، ٣٧.

(٤) صبح الأعشى، ج١، ص١١٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص١٥، ٥٣.

ويلاحظ ممّا سبق، الرقيّ الدلالي لهذه اللفظة في عصر المماليك، إذ كان منصب "البريدي" على درجة من الأهمية، ويماثل منصب السفير في الوقت الحاضر. إلاّ أنّ اللفظة في العصر الحاضر، قد خصصّت دلالتها وأصبحت تطلق على الموظفين الذين ينقلون الرسائل، وهم ينتسبون لمؤسسة تُدعى "البريد"، تعنى بشؤون توزيع الرسائل الخاصة بالمواطنين ومؤسسات الدولة.

- **خَليفة:**

جاء في صبح الأعشى "الخليفة؛ لقب الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمّة، وهو من الألقاب القديمة المتداولة في الحكم إلى زمن القلقشندي، وهو من ألقاب أرباب السيوف(١).

ورد اللفظ في الشعر الجاهلي صريحاً بمعنى الخَلْف الذي يخلف غيره، قال لبيد(٢):

وأنْتَ فقيرٌ لم تبدّل خليفةً ... سوايَ، ولم يلحقْ بَنُوكَ الأصاغِرُ

وقال أوس بن حجر(٣):

إنَّ مِنَ الحَيِّ موجوداً خليفتُهُ ... ومَا خليفُ أبي وَهْبٍ بموجودِ

والخَلْف يجوز بالإسكان والفتح، وهو مصدر خَلَف، وجمعه خُلَفاء وخلائِف، والخَلْف للأشرار خاصّة، وبالتحريكِ ضدّه، وقال ابن بري: "**والصحيح في هذا وهو**

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٤.
(٢) شرح ديوان لبيد ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، ص٢١٩.
(٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٥.

خلقهم فيها[1]. وجاء في الدرّ المَصُون: "**وخليفة يجوز أن يكون بمعنى فاعل؛ أي يَخلُفُكُم، أو يَخْلُفَ من كان قبله من الجنّ، وهذا أصحّ لدخول تاء التأنيث عليه، وقيل بمعنى مَفعُول؛ أي يَخْلُف كلّ جيلٍ من تقدّمه، وليس دخول التاء حينئذ قياساً**"[2].

ويبدو أنّ مادة "خلف" قديمة موجودة في اللغات السامية العبرية والآرامية والسريانية والحبشية، إذ تستبدل الخاء العربية بالحاء في هذه اللغات، ودلالتها الأصلية تدور حول الابتعاد والتغير، ففي العبرية مثلاً، تأتي بمعنى مرّ على، حلّ محل، ابتعد[3].

والنسب إلى الخليفة "خَلَفيٌّ" بفتح الخاء واللام، كما ينسب إلى حنيفة (حَنَفي)، والقول (خليفتي) ونحوه خطأ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب الياء، وهاء التأنيث على ما هو مقرّر في علم النحو[4]، وممّن وَهِمَ في ذلك، المَقرّ الشهابي بن فضل الله العمري في كتابه التعريف، حيث قال: "**وأول ما نبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفيتية، ولعلّه سبق قلم منه وإلاّ فالمسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه**"[5].

والهاء في خليفة للتأنيث، اختُلِف فيها بين تأنيث على اللفظ، وتأنيث على المعنى المقدّر، فالقلقشندي في حديثه عن النسبة في خليفة يعدّها للتأنيث[6]، ويرى الفرّاء أنها للمبالغة، كما يُقال داهية، ويخطّئ علي بن سليمان ذلك بقوله: "**لو كانت الهاء كما قال**

---

(1) من كتاب مآثر الأنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، اختار النصوص وعلّق عليها شوقي أبو خليل، ط٢، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧، ص٢٧؛ وصبح الأعشي، ج٥، ص٤٤٤.

(2) الدُر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، ج١، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م، ص٢٥٣.

(3) المولد، ص٣٥٣، نقلاً عن Gesenius 322.

(4) شرح اللّمع في النحو، الواسطي، القاسم بن محمد بن مباشر، تحقيق رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، ط١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(5) صبح الأعشي، ج٥، ص٤٤٧.

(6) المصدر نفسه، ص٤٤٧.

لكانت **تأنيثاً حقيقياً**"(١). ومذهبه في ذلك أنّ الهاء للصنعة، وذهب أبو جعفر النحاس إلى أنّ الهاء لتأنيث الصيغة، بينما ذهب أكثر النحويين إلى أنّ الهاء للمبالغة، وهذا الــرأي استحسنه أبو جعفر النحاس(٢). وقيل: إنّ الهاء في (خَليفة) صفة لموصــول محــذوف، والتقدير نفس خَليفة(٣).

ويبدو أنّ الكلمة جاءت بالهاء للدلالة على المذكّر؛ لأنّها لا تلتبس بــالمؤنّث؛ لأنّ المعروف بأنّ منصب الخَليفة يتولاه الذكور دون الإناث.

وأجاز الكوفيون "قالت الخليفة" على اللفظ، وهو خطأ عند البصريين، إذ لو جــاز لقلت "قالت طلحة"، وأنت تريد رجلاً، وأجاز الكوفيون حذف الهاء، وأن يقــال فــلان خليف فلان"(٤). ونظيره قوله تعالى: (وإقامُ الصَّلاةِ) (٥)، وفي صبــح الأعشــى "ربمــا أسقطوا الهاء منه وأضافوه، فقالوا: فلان خليف فلان، يعنون خليفته، ثمّ الأصــل فيــه التذكير نظراً للمعنى؛ لأنّه المراد بالخليفة رجل وهو مذكر، فيقال: أمر الخليفة بكذا على التذكير، وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة، فيقال: أمرت الخليفة بكذا"، وأنشد الفرّاء:

أبوكَ خليفتـــــــه ولدته أخـــــــرى"(٦)

قاله لتأنيث اسم الخليفة، والوجه أن يكون ولده آخر(٧).

---

(١) صناعة الكتّاب، ص٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٧.
(٣) تاج العروس: مادة (خلَف).
(٤) صناعة الكتّاب، ص٩٧.
(٥) اللسان: مادة (خلف).
(٦) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٦.
(٧) تاج العروس: مادة (خلف).

ومصطلح الخليفة من أول مصطلحات القيادة والحكم ظهوراً في واقع الدولة الإسلامية، وقد تميّز هذا النظام عن النظام الملكي، بأنّ لا وراثة فيه، وهو نظام بدأ به المسلمون دولتهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، يطلقه المؤرّخون على الخلفاء الراشدين وعلى الأمويين والعباسيين وغيرهم[١].

وقد ارتقى مدلول الكلمة في بداية عهد أبي بكر رضي الله عنه لتدلّ على خليفة رسول الله ﷺ، وهو أعلى منصب في الدولة الإسلامية آنذاك، ولكن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، مال إلى تغيير اسم الوظيفة، فآثر أن يلقب بأمير المؤمنين، ولذلك مسوغاته والتي عالجتها من خلال الحديث عن مصطلح "الأمير".

ثمّ عاد منصب (الخلافة) من منطلق شمولي عام ليدلّ دلالة خاصة على وظيفة من يلي أمر المسلمين في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين. ففي العهد الأموي والعباسي، كان لقب الخليفة يشير إلى قائد الدولة الإسلامية الذي يتولّى القيادة السياسية والدينية في وقت واحد[٢]، وقد تراجعت الزعامة السياسية والعسكرية في العهد العباسي، إذ نشأت أكثر من خلافة في بغداد، والمغرب، والقاهرة، والأندلس، وأصبحت سلطة الخليفة اسمية[٣]. وفي عهد المماليك، بقيت السلطة الفعلية في يد السلطان، ولم يكن للخليفة أي نفوذ.

ويوضّح القلقشندي مدى علاقة الخليفة في القاهرة، بسلطة المماليك، فيقول: **"والذي استقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية، أنّ الخليفة، يفوّض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عهداً بالسلطنة، ويدعى له قبل السلطان على المنابر، إلاّ في**

---

(١) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٩٧؛ وموسوعة السياسة، ص٦٢٠.

(٢) معجم العالم الإسلامي، ص٢٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٧٤.

مصلى السلطان خاصة، ويستبد السلطان بما عدا ذلك من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه"[١].

لقد كانت سلطة الخلفاء اسمية في بغداد، وفي زمن المتغلبين من آل بويه وآل سلجوق، وكانوا خاضعين للسلاطين، وظل الوضع حتى الفتح العثماني لمصر وبلاد الشام، حيث نقل السلطان العثماني الخليفة، ومركز الخلافة إلى اسطنبول، وانحط منصب الخلافة، ولم يعد له أهمية، ولم يبالِ السلاطين فيمن يكون خليفة[٢].

ولم يتّخذ السلاطين العثمانيون لقب خليفة بصورة فعلية حتى عهد السلطان عبدالحميد الثاني[٣].

ويلاحظ أنّ "خليفة" شأنها شأن جميع الألفاظ السياسية قد ارتقت دلالتها في عهد قوة دولتها التي أوجدتها دولة الخلفاء الراشدين، وما تزال لفظة (الخَليفة) ذات مكانة عالية عند المسلمين.

وفي عام ١٩٢٤ أعلنت تركيا إلغاء منصب الخلافة، وبقي الإسلام منذ ذلك الوقت بلا خليفة، ولم يتقدّم سوى الشريف الحسين بن علي شريف مكة، الذي كان في زيارة نجله الأمير عبد الله، وقت صدور قرار الإلغاء، فأخذ الأمير يحثّ والده على إعلان الخلافة، فوافق وتقلّدها بضعة أشهر، بايعه بعض مدن الشام والعراق والحجاز،

---

(١) صبح الأعشى، ج٣، ص٢٧٥.

(٢) الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، محمد ماهر حمادة، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص١٧، ١٨.

(٣) العرب والعثمانيين، عبد الكريم رافق، ط١، دمشق، ١٩٧٤، ص٤٢.

ثمّ خسر حكمه على يد عبد العزيز آل سعود، فاختفت معه الخلافة حتى العهد الحاضر[1].

وأُطلِق لفظ (الخَليفة) على دلالات مختلفة ومتعددة، ابتعدت عن الدلالة الأصلية، فهو في الطرق الدينية، نائب شيخ الطريقة، وفي الحركة المهدية خليفة المهدي، وقد أُطلق على أشخاص أقلّ شأناً بأن أطلق على الكاتب الصغير في مكتب عام في تركيا، ونائب الوالي في مراكش، وأطلق في الهند على الحائك والحلاق والطاهي، وفي بلاد أفريقية الغربية أطلق على المعلم المسلم[2].

واستخدم رتبة عسكرية، ويعني قائد الخمسين جندياً في عصر المأمون والمستعين، وأطلق على الوكيل أو من يقوم مقام الشخص أو ينوب عنه، وعرف خليفة القاضي، وخليفة الحَاجِب، وخليفة المدينة؛ أي صاحب الشرطة[3].

وفي العراق يستخدم لفظ "الخليفة" لمعلّم الصبيان في الكتّاب أحياناً، ولعامل البناء.

ويلاحظ مدى الانحطاط الدلالي الذي أصاب هذه اللفظة، التي كانت دلالتها نبيلة قوية تدل على أسمى مركز قيادي عرفه الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فتحوّلت دلالتها، فصارت دون ذلك مرتبة، فهان شأنها، وأصبحت تدلّ على بعض الأشخاص ممن هم أقلّ شأناً في المجتمعات كالحلاق، والطاهي، والحائك، وغيرهم.

---

(1) تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسني، ج١، دائرة الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٩٨-٢٠٠؛ وموسوعة النظم والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ج٣، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٧٠.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (خليفة).

(3) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، حسن الباشا، ج١، دار النهضة العربية، القاهرة، ص٤٩٧-٤٩٩.

- **الرَّئِيس:**

جاء في صبح الأعشى "الرَّئِيس بالهمزة على وزن (فَعِيل)، وهو من ألقاب علْية النّاس وأشرافهم، وأصله من الرياسة، وهي رفعة القدر وعلوّ الرتبة، والرئيسي نسبةً إليه للمبالغة"[١].

ورد اللفظ في الشعر الجاهلي بمعنى القائد المطاع في قول زهير بن أبي سلمى[٢]:

يَنْظُرُ فُرسانُهُم أمْرَ الرئيسِ وقد شدَّ السرَّوجَ على أثباجِها الحزَمُ

وجاء بمعنى "رئيس القوم"، وقيل بمعنى مضروب على رأسه في قول لبيد[٣]:

كأنَّ سَحيلَه شكوى رئيسٍ تحاذرُ مِنْ سَرَايا واغتيالِ

وجاء في الحديث الشريف "أنّ النبي ﷺ بعث خاله أخاً لأم سليم في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل"[٤].

اشتقّ لفظ "الرئيس" من (رأس)، والرأس من كل شيء أعلاه، ويقال مرؤوس ورئيس للمصاب في رأسه[٥]. والرائِس الوالي، والمرؤوس الرعيّة.

ويقال للقوم إذا كثروا وعزُّوا: هم رأسٌ، ورأس فلان القوم يرأسهم بالفتح، رياسة وهو رئيسهم، والجمعُ رُؤَساء، والعامّة تقول: رُيَساء [٦].

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص١٤.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدّم له علي حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص١١٧.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص٨٤.

(٤) صحيح بخاري، ج٤، الحديث رقم ١٣٨٦٤، ص١٥٠١.

(٥) اللسان: مادة رأس.

(٦) اللسان: مادة رأس؛ تاج العروس: مادة رأس.

ورأس عليهم كأمر عليهم، ورأّسوه عليهم كأمَّروه. وفي التهذيب "روّسوه على أنفسهم، والقياس رأّسوه، لا روّسوه[1]؛ وذلك لأنّ أصل الاشتقاق (رأس) مهموز عين الفعل وليس من (روس). والرئيس "r>iys" على وزن فعيل بمعنى فاعل وهو سيد القوم. ويمكن أن تُعدُّ صيغة روّسوه من باب التخفيف، وقد تكون (فَعِيل) بمعنى (مَفعول)؛ أي الذي رأسّه النّاس. ومن المعاني اللغويّة للرئيس: سيِّد القوم، وشاةٌ رئيس أُصيب رأسها، ورئيس الكلاب كبيرها، ورائسها كبيرها الذي لا تتقدّمها في القنص، والرئيس أبو علي بن سيناء[2].

وثمّة دلالة أخرى لكلمة "رئيس"، فهي تعني الشيء المهم، فيقال: السبب الرئيس، والعنصر الرئيس، "**ومسألة رئيسة، أساسية**"[3]. ويقال: "**أعضاء رئيسة، وهي التي لا يعيش الإنسان بفقد واحد منها**"[4]. وهناك من ينسب إلى "الرئيس" بمعنى الشيء المهمّ، بزيادة الياء، فيقول: السبب الرئيسي، والعنصر الرئيسي، وهذا الوصف غير صحيح، والصواب أن يقال: السبب الرئيس، دون نسبة، إذ لا حاجة أن ينسب الشيء إلى نفسه، ويرى إبراهيم السامرائي أنّ هذه الصفة المنسوبة هي بقايا ما ورثه العرب من العصور التركية؛ "**لأنّه ليس المراد بهذا الموصوف كوناً خاصاً بالرئيس، فليس هو مثل الوصف.. الأساسي المنسوب إلى الأساس، إنما هو مثل قولهم السبب المهم**"[5].

ويلاحظ أنّ الكلمة قد انتقلت دلالتها من أعلى كلّ شيء وهو الرأس، ثمّ تطوّرت لتدل على منصب.

---

(1) <u>اللسان</u>: مادة رأس.

(2) <u>تاج العروس</u>، ج١٦: مادة رأس.

(3) <u>معجم الوسيط</u>، مادة (رأس).

(4) <u>المرجع</u> نفسه: مادة (رأس).

(5) <u>التطوّر اللغوي التاريخي</u>، إبراهيم السامرائي، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٦-١٣٧.

وقد تستخدم مخفّفة، قال الكميت:

تهدي الرعيةُ ما استقام الريِّـــس[1]

فكلمة رئيس "ra>iys" قلبت الهمزة فيها إلى حرف الياء وأدغمت في الياء الثانية، فأصبحت حرفاً واحداً مشدّداً، فصارت "ريّس"، إذ إنّ الروايات تجمع على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أنّ القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد[2].

فالكميت يسوق إلى شعره لفظ ريِّس ليؤدّي عملية المدح، وإظهار أو إبراز خصائص أخلاق الممدوح، فأتى بريِّس على وزن فَيْعِل الذي لم يتجرّد عن معنى الرئيس وإن اختلف اللفظ من حيث الوزن والبناء، ولكن المعنى واحد[3].

وما تزال لفظة "الرئيس" تستخدم الآن في مصر مخفّفة، فيقال "الريّس"، فكثيراً ما يستخدمها المصريون، وربما تكون علّة التخفيف راجعة إلى قانون السهولة والتيسير.

وظهرت الصيغتان "الرئيس" و "الريّس" في النقوش القديمة، فأطلقتا في الدولة الفاطمية على الكاتب فهد بن إبراهيم النصراني سنة ٣٨٨هـ[4]. وفي العصر العباسي

---

(1) شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم داود سلوم، ج٣، القسم الثاني، (د.ط)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩، ص٢١.

(2) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٧٥.

(3) الألفاظ الحضارية وخصائصها اللغوية عند الكميت بن زيد الأسدي، سعيد حوزه، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٠، ص٤٣، ٤٤.

(4) الألقاب الإسلامية، ص٣٠٧.

استعمل لقب رئيس مشيئة اليهود عند تعيينه من قِبَل الوزير المتولي أمر الطائفة اليهودية[1].

وفي عصر المماليك أطلق على أرباب الأقلام من العلماء والكتّاب، وقد ورد مضافاً إلى كلمات أخرى أحياناً، كما في "رئيس الكبراء"، وهو من ألقاب الوزراء، وكان أهل الشام يطلقونه على أكابر أرباب الأقلام مثل قاضي القضاة[2].

كما كان لقباً عاماً على الرئيس الديني لطائفة يهود، وهو القائم فيهم مقام "**البَطْرَك في النصارى**"[3].

ورئاسة اليهود موضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم والقضاء بينهم، وهم على ثلاث طوائف: الربانيين، والقراءين، والسامرة. وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الربانيين دون غيرهم وهو يحكم على الطوائف الثلاث[4].

وقد أورد القلقشندي وصيةً لرئيس يهود من إنشاء ابن فضل الله العمري، أورد فيه وصية لرئيس اليهود حدّد فيها وظائفه، منها: أنّه وُصيّ بضمّ جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد ملّته، والتحدث في كنائسهم، وإقامة حدود التوراة فيهم على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة[5].

---

(1) كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، كمال الدين، أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي، المكتبة العربية، بغداد، ص١٣.

(2) صبح الأعشى، ج٥، ص٥٠.

(3) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٧٤.

(4) صبح الأعشى، ج١، ص٣٨٥.

(5) المصدر نفسه، ١١، ص٩٩، ١٠٠، ٣٩٠.

ومن ألقاب رؤساء اليهود كما ورد في بعض الوصايا لرئيسهم بالشّام: "**الرئيس، الأوحد، الأعزّ، الأخص، الكبير، مشرف الطائفة الإسرائيلية فلان**"[١]. يُستدل من ذلك أنّ لفظة الرئيس عند اليهود، تحمل دَلالة واحدة؛ وهي الدلالة الدينية، فهو زعيمهم، والمنظّم لشؤون حياتهم.

وفي العصر العثماني، أضيف لقب الرئيس إلى الكتّاب، فقيل "رئيس الكتّاب"، وهو موظف في الديوان السلطاني، ذو مكانة عالية، يلي الصدر الأعظم، ويقوم بتحرير ما يتعلّق بالشؤون السياسية والاتصالات الخارجية، ومهمته مهمة وزير الخارجية، وألغي منصب الرئيس سنة ١٨٣٦م في عهد السلطان محمود الثاني، وحلّت محله وزارة الشؤون الخارجية[٢].

وأطلق لقب "الرئيس" على أمراء البحر حتى القرن السابع عشر، ثمّ استبدل بلقب قبطان[٣]. وأُطلقت لفظة "الرئيس" على قائد المائة في الجيش الذي في الشّام، والعراق، والأردن، أطلقه مجمع دمشق[٤].

أمّا في الوقت الحالي، فقد أضيفت اللفظة إلى مفاهيم مختلفة، فيقال "رئيس الجمهورية" للدول التي تتّبع النظام الجمهوري، ويضاف إلى الدولة ويقال "رئيس الدولة"، ولا فارق في الدلالة بينه وبين رئيس الجمهورية. وتضاف إلى مفاهيم أخرى مثل: رئيس الحكومة، ورئيس المحكمة، ورئيس الجامعة، ورئيس القسم، وغيرها. فقد أصبح لهذه اللفظة استعمالات متعدّدة تتفاوت من حيث الأهمية والمكانة.

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص١٧٤.

(٢) معجم الدولة العثمانية، د. حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٩٣.

(٣) معجم الدولة العثمانية، ص٩٣، دائرة المعارف الإسلامية، مادة رئيس.

(٤) معجم متن اللغة، أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ٩٥٨، مادة رأس.

ويلاحظ مدى اختلاف هذه اللفظة في دلالتها على الحكم عن غيرها من ألفاظ الحكم الأخرى، فتطلق تارة على الحاكم في الدولة، وأخرى على من هو أدنى منه درجة، إذ لا ضوابط معيّنة لهذه اللفظة، مثل ألفاظ الحكم الأخرى كالسلطان، أو الملك، أو الأمير، فهذه الألفاظ ذات دلالة محدّدة وثابتة، وهي شبيهة بلفظ "الخليفة" التي تعدّدت وأُطلقت دلالتها في الوقت الحاضر.

- **السُّلْطان:** sultan

جاء في صبح الأعشى "**السُّلْطان اسم خاص في العرف العام بالملوك**"[١]، وهو من ألقاب أرباب السيوف، وأصله في اللغة الحجّة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِن سُلْطَانٍ﴾[٢]، ويعني من حجّة، "**وسمّي السلطان بذلك؛ لأنّه حجّة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه**"[٣]. وضبطُها سُلْطان، على وزن (فُعْلان)، والتسكين على اللام جاء للتخفيف[٤].

ورد اشتقاق اللفظ "السليط" في قول الأعشى، بمعنى دهن السمسم أو الزيت[٥]:

وكُلَّ كُمَيْتٍ كأنَّ السَّليـ ـطَ في حَيْثُ وَارى الأديمُ الشَّعَارا

وورد صريحاً بمعنى "قوة الحب" في قول عنترة بن شداد[٦]:

يا شأسُ لولا أنَّ سُلْطانَ الهوى ماضي العزيمةِ ما تَمَلَّكَ عَنترا

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٧.

(٢) سورة سبأ: ٢١.

(٣) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٧.

(٤) الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦، ص٩٠.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص٥٣.

(٦) شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص٧٤.

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بمعنى القوة، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنسِ إنْ استطعتم أن تَنْفُذوا من أقطارِ السمواتِ والأرضِ فانفُذُوا لا تَنْفِذونَ إلاّ بِسُلطان﴾[١]، وورد بمعنى الحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿وما كانَ لَهُ عليهم من سُلطان﴾ [٢].

وجاء في الحديث الشريف "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"[٣]، بمعنى صاحب السلطة.

واختلف في اشتقاقه: فقيل مشتقّ من "السلاطة"، سلّطه الله، فتسلّط عليهم، وهي القهر والغلبة لقهره الرعية وانقيادهم له. وقيل من السليط: وهو زيت الشيرج بلغة أهل اليمن؛ الذي يضاء به، وسمّي بذلك؛ لأنّه يستضاء به في خلاص الحقوق. وقيل من السليط: "اللسان السليط" الحاد والماضي، وذلك لمضي أمره ونفوذه[٤]. ومن معاني كلمة (السُّلْطان) الحجّة والبُرهان، والوالي، والسُّلطان من كل شيء شدّته، وسلطان الدمّ نبعُهُ، وسُلطان النّار التهابُها[٥].

والسلطان يذكّر ويؤنّث، فمن ذكّره ذهب به إلى معنى الواحد، ومن أنّثه ذهب به إلى الجمع، وهو جمع مفرده "سليط"، فسليط وسلطان مثل رغيف ورغفان[٦].

قال أبو حاتم السجستاني "**السلطان يذكّر ويؤنّث، سمعت من أثق به يقول: أتيت سلطاناً جائرة، وقضت به عليك السلطان، وأما في القرآن فمذكر كله**"[٧].

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.
(٢) سورة سبأ، الآية ٢١.
(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٤٧١.
(٤) اللسان، مادة (سلط)؛ وصبح الأعشي، ج٥، ص٤٤٧.
(٥) تاج العروس: مادة سلط.
(٦) صناعة الكتّاب، ص١٠.
(٧) المذكر والمؤنّث، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق حاتم الضامن، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧، ص١٣٤.

وقد يذكّر السُّلطان على أنّه بمعنى الرجل، ويؤنّث على أنّه بمعنى الحجّة، وجمعه سَلاطين.

والنون في السلطان زائدة؛ لأنّ أصل بنائه من سَلَطَ، وفي هذا يقول ابن جني "**إذا وجدت كلمة في صدرها ثلاثة أحرف من الأصل، وفي آخرها ألف ونون، فاقضِ بزيادة الألف والنون، وإن لم تعرف الاشتقاق، لكثرة ما جاءتا زائدتين، فيما عرف اشتقاقه، نحو، سرحان، سعدان**"[1]. فأصل سلطان "سلط" فزيدت الألف والنون، وبنيت على وزن (فُعْلان)، وزيادتهما لا بدّ أن تؤدّي دلالة معينة، وفي ذلك يقول حسن الترابي "**إنّ زيادة الألف والنون في "سلطان" هي تعريف ودلالة على معنى أبلغ**"[2]. فهي للمبالغة، فللحرف في العربية واللغة السامية بعامة قيمة تعبيرية موحية، فهو ليس مجرّد صوت فحسب، فصوت النون فيه معنى الظهور والبروز[3]، و "يتميّز بقوّته الاسماعية العالية وغنّته الموسيقية"[4]. فزيادة الألف والنون في (سلطان) أعطت دلالة فيها معنى التفخيم والتعظيم، بخلاف نطقها مجرّدة من الزيادة.

والسلطان كلمة عربية، قيل إنّها مشتقّة من السريانية "sultana"، ومعناها القوة، ومن يحسن استعمال القوة[5]، فهي مشتقة من "سلت" "salata"، ثم انتقلت إلى "salada" بتفخيم صوت التاء. فالتاء صوت انفجاري مرفق مهموس، استبدل هذا الصوت بصوت "الطاء" الذي له ميّزة صوتية عالية مكّنته من احتلال موقع التاء[6].

---

(1) المنصف شرح كتاب التصريف "للمازني"، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، مصر، ١٩٥٤، ج١، ص١٣٤.

(2) المصطلحات السياسية في الإسلام، ص٢٥.

(3) الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٥، ص١٣.

(4) علم الصرف الصوتي، ص٨٧.

(5) موسوعة السياسية: ص٢١٣، ٢١٤؛ ودائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(6) علم الصرف الصوتي، عبدالقادر عبدالجليل، ط١، أزمنة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨، ص٤٣.

ويلاحظ أنّ الكلمة قد طرأ عليها تغيّران أفادا التفخيم: "ضم المقطع الأول "sul"، وزيادة الألف والنون.

وقد اكتسبت اللفظة ثلاثة مدلولات: الأول بمعنى القدرة والسلطة، والثاني بمعنى الماسك للقدرة أو السلطة، والثالث يحمل معنى اللقب أو الوظيفة[١].

والفرق بين "السلطان، والمِلْك" أنّ المِلْك القدرة على أشياء كثيرة، والسلطان القدرة على أشياء كثيرة أو قليلة، لذا يقال في داره سلطان، ولا يقال في داره ملك[٢]. **"فالسلطان أعمّ من الملِك، يُقَدَّم عليه في قولهم "السلطان الملك الفلانيّ، ليقع السلطان أولاً على الملِك وعلى غيره، ثمّ يخرج غير الملِك بعد ذلك بذكر الملِك"**[٣].

ويذكر القلقشندي أنّ أول من لُقّب به "خالد بن برمك"؛ وزير الرشيد لقّبه تعظيماً له[٤]، ممّا يوحي بدلالة هذا اللفظ على العظمة.

وشاع استعمال اللقب في العهد الفاطمي، وفي عهد البويهيين، أمّا في عهد السلاجقة، فقد ارتقت دلالة اللفظ، فأصبح لقب سلطان أسمى ما يمكن أن يلقّب به زعيم إسلامي، فحلّ محل أمير الأمراء، وأخذ لقب سلطان يتحدّد بكونه حاكماً أعظم، ولقب الملك بوصفه حاكماً تابعاً[٥].

---

(١) موسوعة السياسة في الإسلام، ص٢١٣، ٢١٤.
(٢) كتاب الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد الحمصي، جروس برس، ط١، لبنان، ١٩٩٤، ص٢٠٧.
(٣) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٤٨.
(٥) الألقاب الإسلامية، ص٣٢٥؛ وموسوعة السياسة، ص٢١٣؛ والألقاب الإسلامية، ص٣٢٦.

وانتقل اللقب إلى الدولة الأيوبية، وأُطلق على صلاح الدين لقباً فخرياً، وورد ذلك في المراجع التاريخية، وأيّدت ذلك النقوش التي عُثر عليها، مع أنّ الألقاب الرسمية في ذلك الوقت كانت تقترن بكلمة (ملك)[1].

وقد ورث المماليك اللقب عن الأيوبيين، ومع أنّ لقب السلطان كان لقباً عاماً أُطلق على الحاكم في عصر المماليك، إلاّ أنّه أُطلق في بعض الأحيان على أولياء العهد من أبناء السلاطين[2].

وفي هذا العصر ارتقت دلالة اللفظ، وأصبح الحكّام يفضّلون لقب السلطان، ويستشعرون معه عظمة الحكم، أكثر من استشعارهم مع لفظ "الملك"، وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: "**حين نستعرض الاستعمال العربي القديم للفظي السلطان والملك، لا نكاد نلمح فرقاً واضحاً بينهما، فكل منهما يطلق على صاحب الحكم والولاية، حتى كان القرن السابع الهجري، فأصبح كل من اللفظين لقباً عظيماً من ألقاب الحكّام، إذ كان الحاكم يُؤْثر أن يلقّب بلفظ (السلطان)، إذ يستشعر معه عظمة الحكم أكثر من استشعاره مع لفظ الملك**"[3].

وكانت كلمة (سلطان) في تركيا لقباً رفيعاً، يحمله الأمراء والحكّام، ويوضع أمام اسم الحاكم أو الأمير[4].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).
(2) الألقاب الإسلامية، ص٣٢٨.
(3) دلالة الألفاظ، ص١٥٨.
(4) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

وكان السلطان العثماني يُعرف بلقب (خُنْكــــار)، وتعنـــي بالتركيــة (السُّـلْطان الأعظم)[١]. وشاع استعمال الكلمة في التركية بمعنى أمير[٢]. والسلطان في الفارســـية تعني الملك، وكان يستعمل في فارس لقباً للموظفين والولاة[٣].

ولعلّ أول تطوّر طرأ على استعمال الكلمة هو اتخاذهـا لقبــاً، مثـل: سـلطان العاشقين، الذي لقّب به الشاعر ابن الفارض، وسلطان العلماء، الذي كان يحمله بـــهاء الدين الرومي[٤]. أمّا في العصر الحديث، فقد أصبح لقب الملك لقباً أرقـــى، ومركــزاً أعلــى بين الحكّام من لقب السلطان، فقلّ استعمال لفظ "السلطان" بالمقارنة مـــع لفـظ "الملك"، ويبدو أنّ الواقع السياسي والتأثر بالأنظمة الأخرى له أثره في ذلك، إذ إنّ لفـظ "الملك" يستخدم في أنظمة الحكم الغربية التي لها دور حضاري كبير الآن، ولم يرد لقب "السلطان" في أنظمة حكمهم.

واشتقّ من مصطلح السلطان مصطلح السلطنة، والذي يُعدُّ أحد تطبيقات الحكــم الملكي، ومن نماذجه سلطنة عُمان، وسلطنة بروناي[٥].

- **القُنْصُل**: Kunsul

القُنْصل من ألقاب زعماء النصارى، وكان يقال فيه القنصل المحتشـــم الكبــير، الهمام[٦]، وهو لا يكاتب عن السلطان، فمقامه دون أن يكاتِب عن الأبواب السلطانية[٧].

---

(١) العرب والعثمانيون، ص٤٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٣) المصدر نفسه، مادة (سلطان).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٥) معجم المصلحات السياسية، محيي الدين هلال وآخرون، ط١، تحرير وتقديم د. نيفيـن مسـعد، مطبعـة أطلس، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢١٠.

(٦) صبح الأعشي، ج٦، ص١٨٠.

(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٣.

ويقصد بالمكاتبة الرسائل التي تصدر عن ديوان الإنشاء، فكل رسالة لها صيغة معيّنة بالنسبة للجهة المرسل إليها، وفي هذه المكاتبات يذكر "السلطان" وألقابه وعلامته[1]. ويستدل من ذلك أنّ مقام (القنصل) ورتبته هي دون أن يكتب إليه من السلطان رسائل تحمل اسمه وعلامته.

ووردت لفظة "القنصل" في (اللسان)، بمعنى وحيد، وهو القصير[2]، أي القصير من الرجال، إذ لا يوجد أدنى علاقة بين معناها كما وردت في لسان العرب، ومعناها لقباً من ألقاب النصارى.

وورد اللفظ في شعر تأبّط شرّاً عَلَماً على شخص[3]:

وأقْسَمْتُ لا أنْسى وإنْ طالَ عَيْشُنا صنيعَ لكيزٍ والأحلَّ بن قُنْصُلِ

والأحل رجل من بجيلة كان حليفاً لهذيل، فالبناء الصوتي للكلمة موجود في الشعر الجاهلي، ولعلّ استخدامها مما يسمى بها الآن سلطان أو أمير علماً على شخص.

واللفظة في أصلها لاتينية، معناها (مستشار)، والجمع قناصل، والأصل في إطلاقها على أحد الحكام الرئيسيين في جمهورية روما القديمة[4].

واستمرّت دَلالة الكلمة بعد تعريبها في الوقت الحاضر، لتصبح وظيفة دبلوماسية. جاء في المحيط "**القنصل في اصطلاح أرباب السياسة، مأمور ترسله دولة إلى دولة أخرى أجنبية؛ لأجل حماية حقوقها وتجارتها**"[5].

---

(1) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(2) اللسان، مادة (قنصل).

(3) ديوان الصعاليك، ص١٥٩.

(4) محيط المحيط، مادة، مادة (قنصل).

(5) المصدر نفسه، مادة (قنصل).

وفي الوسيط: القنصل **"النائب عن دولة في دولة أخرى يحمي حقوقها وتجارتها ويدافع عن رعيّتها، ومرتبته دون مرتبة الوزير المفوّض، ومرتبة هـذا دون مرتبـة السفير"**[١].

ووردت لفظة (القنصل) بالكاف، فقيل "الكُنْصل"[٢]، إذ جرى إبدال بيـن حـرف الكاف والقاف، والإبدال اللغوي، ظاهرة صوتية تَعْرِض لبعض أصوات العربية تقـوم على إقامة حرف مكان حرف، مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة[٣]. ولهجة كُنصُـل بإبدال القاف كافاً، موجودة حالياً في بعض المناطق في عمّان، وفي بعض دول الخليـج تقلب القاف جيماً قاهريّة أو ياءً.

وقد يبدّل صوتا القاف والكاف من بعضهما؛ لأنّهما صوتان يدلان علـى الشـدّة والاصطدام والتمكّن، وهما يقتربان مخرجاً، ويتّفقان صفة[٤]. فقد أُبدلت الكاف وجعلـت قافاً، فالكاف صوت مهموس، والقاف صوت مجهور، ومنهج العربية أن ترفع من حـدّة الصوت عند الإبدال. فالتميميون يفضّلون القاف على الكاف، فقالوا: **"قشطتُ الجلَّ عـن الفرس"، بدلاً من "كشطته"، فهم يجنحون إلى الأشدّ الأفخم"**[٥].

وكما يحدث التبادل بين صوت القاف والكاف، فإنّه يحدث أيضـاً بيـن صـوت الصاد والسين، فالكلمة باللاتينية (كُنْسُل kunsul)، حيث أُبدلت السين صـاداً، فالسـين

---

(١) معجم الوسيط، مادة (قنصل).

(٢) صبح الأعشى، ج٨، ص٥٣.

(٣) التطور اللغوي التاريخي، ط٣، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص١١٠.

(٤) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها، ١٩٨٨، ص١٣٠.

(٥) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص٩٥، ٩٦.

والصاد، أصوات متقاربة مخرجاً وصفة[1]. فقد جرى على هذه اللفظة تغيران؛ الأول: إبدال الكاف قافاً، والثاني: إبدال السين صاداً.

واللفظ في الفارسية "قُنسول" kunsul ، و"كنسول" kunsul [2].

وقد أنيطت بالقنصل في الوقت الحاضر مهام ووظائف تتمثّل في حماية مصالح الدولة الموفدة، ومصالح رعاياها، وعلاقاتها التجارية والثقافية، وإصدار جوازات السفر[3].

ويميّز بين نوعين من القناصل الآن: القناصل المبعوثون، وهم موظفو الدولة الذين تعيّنهم دولهم لإدارة شؤون القنصلية، وليس لهم الاشتغال بأيّة مهنة أخرى. والقناصل الفخريون: الذين تعيّنهم الدولة من بين الأشخاص المقيمين في الجهة التي ترغب أن يكون لها فيها تمثيل قنصلي، ويمكن أن يكونوا من رعايا الدولة التي تختارهم، ولا يعدّون موظفين للدولة التي يمثّلونها، وإنّما مجرّد وكلاء عنها، ولا يتقاضون رواتب، ويسمح لهم بالاشتغال بالأعمال الحرّة[4].

والنسبة إلى القنصل "قنصلي" ومنها كلمة القنصلية (أي مقر القنصل).

- **المَلِكْ:**

جاء في صبح الأعشى "المَلِكْ: الزعيم الأعظم ممّن لم يطلق عليه اسم الخلافة"[5]، وهو من ألقاب أرباب السيوف". والمَلِكْ صفة مشبّهة على زِنَة (فَعِل).

---

(1) دراسات في فقه اللغة، مرجع سابق، ص١٣٠.
(2) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ٢، (٢١١٦، ٢٢٩٦).
(3) موسوعة السياسة، ص١٥٧.
(4) معجم المصطلحات السياسية، ص٣٠٣، ٣٠٤.
(5) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٧.

"والمَلِك مقصور من "مالك"، أو "مليك""[1]: malik ◄ malik . فالذي حدث، أنّ الألف قُصِّرت، من فتحتين إلى فتحة واحدة، وأصبحت malik، وأمّا تقصيرها من (مليك)، فيكون بحذف الصوت الصامت الياء ◄ malik ◄— malik .

والمَلْك مخفّفة من ملِك، مثال فَخْذ وفَخِذ[2]، وكَبْد وكَبِدْ، فالعرب يسكنون وسط الاسم في الضمّ والكسر استثقالاً[3].

Malik ◄— ma / l / kun

فملك بتحريك الوسط تتكوّن من ثلاثة مقاطع، وبتسكين الوسط تصبح مقطعين، فنطقها بالتسكين أخفّ من نطقها متحرّكة.

قال أبو جعفر النحّاس "مَلْك" مصدر (مَلَك)، ويقال: مَلِك، ومَلْك، ومَلِيك[4].

ويقال "مليك" "maliyk" نقلت (ملك) من وزن (فَعِل) إلى وزن (فَعِيل) بزيادة "الياء" فعيل بمعنى فاعل.

وجمع المَلْك مُلوك، وجمع المَلِك أملاك، وجمع المَلِيك ملكاء، وجمع المالِك مُلَّك، وملاّك. وملّك القوم فلاناً على أنفسهم صيّروه ملكاً[5].

واختلف العلماء في أيهما أبلغ المالك أم الملِك، فقيل "مَلِك" أعمّ وأبلغ من "مالك"، إذ كل مَلِك مالكٌ، وليس كُلّ مالك ملِكاً، وقيل "مالك" أبلغ؛ لأنّه يكون مالكاً للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ وأعظم، إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثمّ عنده زيادة الملك[6].

---

(1) اللسان: مادة (ملك).

(2) اللسان: مادة (ملك).

(3) كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ص١٠٥.

(4) صناعة الكتّاب، ص٩٧، ٩٨.

(5) اللسان، مادة (ملك).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري،ط١، ج١، ١٩٥٢، ص١٤٠.

وقيل "المِلك" بكسر اللام، أدلّ على التعظيم بالنسبة إلى المالك؛ لأنّ التصرّف في العقلاء المأمورين بالأمر والنهي، أرفع من التصرّف في الأعيان المملوكة[1].

وقرأت الآية ﴿ملِكِ يوم الدّين﴾ [2]، "مَلِك يوم الدين"، وبيّن الطبري اشتقاقها ومعانيها، ورجّح ملِكاً على مالك، وفي ذلك: إنّ مَلِكاً من المُلْك، ومالِكاً من المِلْك، ومعناه على الأول أنّ الله تعالى المنفرد بالمُلْك دون الملوك الجبابرة الذين كانوا في الدنيا ينازعونه المُلْك، ويدافعونه العظمة والكبرياء، ومعناه على الثاني أنّه لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حُكْماً؛ فهو الذي يملك الحكم بينهم وفصل القضاء[3].

وقيل: إنّ مالكاً أبلغ في مدح الخالق من "ملِك"، و "مَلِك" أبلغ في مدح المخلوقين من "مالك"، والفرق بينهما، أنّ المالك من المخلوقين قد يكون غير مَلِك، وإذا كان الله تعالى مالكاً، كان ملكاً[4]. فمالك لفظ اختصّ بالذات الإلهية، وهو أكثر إحاطة وشمولاً وتصرّفاً من الملِك، فقد خصّص اللفظ بإضافته إلى يوم الدين، فالله مالك يوم الدين، ومالك المُلك، وخصّصت إضافتها إلى الغفران، قال الفرزدق[5]:

سُبْحانَ مَنْ عَنَتْ الوجوهُ لِوَجْهِهِ ملِك المُلوكِ ومالِك (الغفران)

ولو قال: "ملك الغفر لم يحسن؛ لأنّ الغفران بيد الله سبحانه وتعالى[6].

([1]) كتاب الكليات، أبو البقاء الحسيني، تحقيق عدنان درويش، محمد الحصري، ط1، مؤسسة الرسالة، 1992، ص853، 854.

([2]) سورة الفاتحة، الآية 4.

([3]) تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن حربي الطبري، مجلد 1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص94، 95.

([4]) الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج1، ص140.

([5]) نسبه أبو هلال العسكري في كتابه الفروق إلى الفرزدق، ولم أجده في ديوانه، شرح ديوان الفرزدق، إيليا حاوي، ط2، الشركة العالمية للكتاب.

([6]) كتاب الفروق اللغوية، ص200.

وأمّا (مليك)، فهي صيغة مبالغة على وزن "فعيل"، مثل السميع ، وعليم، وهو بمعنى (فاعل) يتضمّن معنى التكثير والمبالغة، وليس معنى (فاعل) أنّه استحق من أصله الصفة بذلك، وإنّما يراد به إعمال ذلك في الإعراب، على تقدير أسماء الفاعلين[١].

والملك لقب معروف في اللغات السامية، وقديماً عرفت حضارة ما بين النهرين في بابل على عهد حمورابي ١٧٩٢-١٧٥٠ النظام الملكي[٢]، وفي جنوب الجزيرة العربية، عرفت اليمن "دولة سبأ" الملكية، وورد ذكره في النقوش العربية القديمة، إذ يُعدُّ نقش "صَرْواح"[٣]، الذي تركه ملك سبأ، أقدم نقش عُثر عليه في جنوب بلاد العرب[٤]، وعرفت بادية الشّام في تدمر والأنباط نظام الملكية[٥]، وورد اللقب في نقش "النّمارة"[٦]؛ الذي ينسب إلى امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة والذي يعود إلى سنة ٣٢٨م[٧].

ويرد "ملك" في الآشوري البابلي: ملْكو، وفي الآرامي "ملْكا"، وفي لغات جنوب الجزيرة "ملكي" سيد[٨]. ويرد في اللغة العبرية بلفظ "ملخ"، إذ يماثل حرف الخاء في العبرية "حرف الكاف في العربية"، مثل "أخل" أكل، وملخ، "ملك"[٩].

---

(١) كتاب الفروق اللغوية، ص٢٠١.

(٢) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٠٢.

(٣) صرواح: اسم بلدتين خربتين في جنوب الجزيرة العربية (دائرة المعارف الإسلامية، ج١٤، مادة صرواح).

(٤) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٠٢.

(٥) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٠٢.

(٦) النمارة: قصر صغير للروم في الجزيرة الشرقية من جبل الدروز (**تاريخ اللغات السامية**)، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت، ص١٦٦.

(٧) الألقاب الإسلامية، ص٤٩٦؛ وتاريخ اللغات السامية، ص١٦٦.

(٨) تاريخ اللغات السامية، ص٢٥٣.

(٩) المعجم العبري الحديث، ربحي كمال، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ص١٩٧٥، مادة ملك، ص٢٣.

ويستدلّ من ذلك أصالة هذا اللفظ في اللغات السامية، التي منها اللغة العربية.

ولم يعرف اللقب بصفة رسمية في صدر الإسلام، ولا في العصر الأموي، إذ اقتصر على لقب "الخليفة"، و"أمير المؤمنين". وورد بصيغة غير رسمية في قول الحطيئة يمدح الخليفة عمر بن الخطاب[1]:

يا أيُّها الملكُ الذي أمْسَت لَـــهُ   بُصرى وغزةُ سهلَها والأجـرعُ

وأخذ في العصر العبّاسي بعض الولاة يستقلّون عن مركز الخلافة، فأدّى ذلك إلى ظهور لقب (المَلِك) الذي يحمل معنى السيادة العليا[2]. ويتّضح أنّ الواقع السياسي، كان له أثره في ظهور هذا اللقب نتيجة استبداد بعض رجال الدولة بالسلطة السياسية، واستغلال بعض الولاة.

وعرف اللقب في دولة بني بويه، وفي عصر السلاجقة، مع أنّه أصبح لقباً للولاة الفرعيين، بينما اختصّ رب أسرة السلاجقة بلقب السلطان. وفي العصر الفاطمي، ظهر اللقب، وقيل إنّ أول من لقّب به الملك الوزير "رضوان" وزير الحافظ، ويذكر القلقشندي أنّه لا ينكر في تسمية الوزير ملكاً، فقد ورد في قصّة يوسف عليه السلام[3]، ﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي﴾[4].

وفي العصر الأيوبي احتُفظ باللقب، فظلّ صلاح الدين يلقّب بالملك النّاصر، ومن قبله نور الدّين سُمّي بالمَلِك العادل، إلى جانب الألقاب الأخرى التي اتخذها، ولم يكن

---

(1) ديوان الحطيئة، جرول بن أوس، تحقيق نعمان أمين طه، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1958، ص210.

(2) الألقاب الإسلامية، ص497.

(3) سورة يوسف: (54)؛ صبح الأعشى، ج9، ص403.

(4) صبح الأعشى، ج9، ص403.

اللقب مقتصراً على رؤساء الدولة، بل كان يطلق على أبنائهم، وإن لم يكونــوا أوليــاء عهد[١].

واستمر إطلاق اللقب في عصر المماليك إلى جـــانب لقــب الســلطان، فيقــال "**السلطان الملك**"[٢]، وكان يرد لقب "الملك" بين ألقاب السلطان، والنعت الخـــاص بـــه، فيقال "**السلطان السيد الملك الفلاني**"[٣]، "**والسلطان الملك الناصر**"[٤]. فتقديم الســـلطان على الملك، يبرز مكانة السلطان وأهميته، وإضافة الملك إلى السلطان، لا بدّ أن تــؤدّي دلالة، وهي التأكيد على عظمة السلطان.

واستعمل اللقب في مخاطبة الملوك من غير المسلمين من النصارى[٥].

ويرد أحياناً مضافاً إلى ياء النسبة "المَلكي" malakiy، يقول القلقشندي "**المَلَكـــي بفتح اللام من ألقاب المَلِك، وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء، ومن في معناهم، وهو نسبة إلى الملِك بكسر اللام، وإنّما فتحت لامه في النسب جرياً علـــى قاعدة النسب في "نَمِر"، فإنّه ينسب إليه "نَمَري" بفتح الميم على ما هو مقرّر في علـم النحو، والنسبة فيه للمبالغة، ومن الخطأ كسر اللام في النسب**"[٦].

فيستند القلقشندي إلى قاعدة صرفية مقيسة على لفظة "نَمِر"، ويخطّئ كسر الـــلام في النسب إلى الملك؛ لأنّ هناك صعوبة في لفظ الكلمة مكسورة اللام. فمَلِـــك malik، النسبة إليها malakiy ، والأصل malikiy ، فنظراً لصعوبة نطق الصـــوت الصّـــامت (k) بين صائتين li أبدل الأول فتحة، لكي يستبين المقطع الأخير بمخالفته.

---

(١) الألقاب الإسلامية، ص٥٠٠.

(٢) صبح الأعشى، ج٥، ٤٤٨، ٤٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٠.

ودخل اللفظ في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل "**ملك الإسلام، وملك البحرين، وملك المسلمين، وملك الأمراء**"[١].

وفي العصر الحديث أصبح (الملك) لقباً أرقى، ومركزاً أسمى بين الحكام من ألقاب القيادة الأخرى، وبخاصة لقب السلطان[٢].

- **النَائِب: na>ib**

يصفه القلقشندي بالألقاب المحدثة، التي تقع تحت مسمّى ما أصله عربي، فهي لفظة عربية[٣]، ووظيفتها لم تكن معروفة قديماً، إنّما استحدثت في عصر المماليك. والنَائِب اسم فاعل على زِنة (فاعِل)، اشتقّ من مادة (نَوَب)، فيقال: ناب الأمر نوبا ونوباً (نزل) ونائبهم نوائب الدهر، مصائبه وحوادثه، والنوائب جمع نائبه. والنُوب: النحل، وهو جمع "نائب"، مثل "عائط، وعوط"، وسميت بذلك؛ لأنّها ترعى ثم تنوب إلى موضعها[٤]. فمجازاً أطلق لفظ النائب على النحل. وقيل: النُوب جيل من السودان، مفرده "نوبي"، وبلاد النوبة وطن ذلك الجيل ويقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر[٥]. وناب فلان عن فلان ينوب مناباً ونوباً: أي قام مقامه، وناب عنّي في الأمر نيابة إذا قام مقامك، ومنها اشتقّ اللفظ "النائب"[٦]، والجمعُ نُوّاب.

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٥؛ ج٦، ١٦، ص٩٤.
(٢) دلالة الألفاظ، ص١٥٩.
(٣) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٣.
(٤) اللسان: مادة (نوب).
(٥) معجم الوسيط، مادة (نوب).
(٦) المصدر نفسه، مادة (نوب).

والنائب: "**من يقوم مقام شخص أو أشخاص بكامل المسؤولية، كنائب السلطان، ونائب الوالي**"[1]. ويعرّفه القلقشندي بقوله "**هو القائم مقام السلطان في عامة أمـوره أو غالبها، والهمزة منقلبة عن واو، ناب فلان عن فلان ينوب منابا ونوباً**"[2].

فأصل الفعل "نَوَبَ" nawaba ، وهو فعل أجوف، والأجوف مـا كـان وسـطه صوت صائت طويل، وسبب تسميته يعود لخلوّ وسطه من الأصوات الصامتة الصحاح، ومثله قال: باع، صام. فعندما تحرّكت الواو في "نَوَبَ"، وانفتح ما قبلها انقلبـت ألفـاً، فصارت "ناب" naba [3].

واشتقّ اسم الفاعل من "نَوَبَ" "نَاوِب" nawib ، فجاءت الحركة المزدوجـة "wi" فسقطت نواتها "w" وأبدلت همزة، فأصبحت "نائب" "na>ib" وجيء بالهمزة لإيضـاح الصوت وإبانته. وهذا قياس يجري في بناء اسم الفاعل على وزن فاعل مـن الثلاثـي الأجوف، بنوا عليه الأجوف الواوي، والأجوف اليـائي حسـب النظريـة الصرفيـة الحديثـة[4].

وعرف لقب نائب الوزارة في العصر العباسي، وأطلق على فخر الدين بن المؤيد العلقمي[5]، وعرفت وظيفة نائب الحسبة[6]، ونائب القاضي[7]، ونائب قـاضي القضـاة أيضاً[8].

---

(1) البستان، عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، مادة (نوب)؛ الهادي إلى لغة العرب، حسن الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١، مادة (نوب).

(2) صبح الأعشى، مصدر سابق، ج٥، ص٤٥٣.

(3) علم الصرف الصوتي، ص١٨٧.

(4) دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص١٥٠، ١٥١.

(5) كتاب الحوادث الجامعة، ص٦٢٨.

(6) تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، بدري محمد فهد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣، ص٢٢٥.

(7) المرجع نفسه، ص٢١١.

(8) المرجع نفسه، ص١٨٨.

والنائب كما يقول القلقشندي: "**لفظ يطلق في العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجاً عنها في قرب أو بعد**"[١]. وهو منصب مهمّ من المناصب التي أوجدها المماليك، فقد كان أوائل ملوك المماليك محاربين يقودون الجيش بأنفسهم، فيقتضي ذلك غياب السلاطين عن مقرّ حكمهم، ممّا يتطلّب وجود شخص يصرّف أمور المملكة في غياب الملك، لذلك أوجدوا هذا المنصب والذي يسمّى كافل المملكة[٢].

ووظيفة "النائب" الذي يعدُّ المنصب الثاني بعد السلطان، كان يشكّل خطراً عليه، فقد يستغلّ "النائب" وضعاً معيناً؛ كضعف السلطان، أو صغر سنّه، فينحّي السلطان ويستولي على الحكم، كما فعل "بيبرس"[٣].

ويوصف النائب عن السلطان بالحضرة في عُرف الكتّاب "بالكافل"، فيقال النائب الكافل[٤]. والكافل في اللغة، يكفل الإنسان ويعوّله، والكافلي، النسبة إليه للمبالغة[٥]. والنائب الكافل في الحضرة السلطانية، يعادل في عصرنا رئيس الوزراء[٦].

وهناك نوع آخر من النيابة، يسمّى "نيابة الغيبة"، فنائب الغيبة هو الذي يترك إذا غاب السلطان، والنائب الكافل. ووظيفته إخماد الثورات وخلاص الحقوق[٧].

ويبيّن القلقشندي مدى نفوذ النائب الكافل بقوله "**إنّه يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويُعلِّم في التقاليد والتواقيع والمناشير، ولنائب السلطنة أن يستخدم الجند**

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٣.

(٢) الوثائق السياسية والإدارية في العصر المملوكي، ص٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٩، ٣٠.

(٤) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤.

(٦) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٤٩.

(٧) صبح الأعشى، ج٤، ص١٧، ١٨؛ ج٧، ص١٥٥.

من غير مشاورة السلطان، ويعيّن أرباب الوظائف الجليلة؛ كالوزارة وكتابة السر، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان الثاني"[1]، وقد ضعفت نيابة السلطنة في عهد السلطان قلاوون، ثمّ أُلغيت مع الوزارة سنة ٧٢٧هـ، ولكنّها أُعيدت ثانية سنة ٧٤٢هـ، وزالت أثناء حكم السلطان برقوق[2].

وهناك منصب آخر هو "نائب السلطنة"، والجمع نوّاب السلطنة، فقد كانت الدولة المملوكية تنقسم إلى مجموعة أقاليم، كل منها يسمّى مملكة، وكانت تسمّى في مجموعة بالممالك الإسلامية، وقد قسّمت الشّام التي كانت خاضعة لحكم المماليك إلى ممالك، وعرفت بالنيابات والذين يعيّنون فيها يعرفون بنوّاب السلطنة[3].

وفي الدولة العثمانية ظهر لقب "النائب"، وكان له أكثر من دلالة تختلف عن دلالة اللقب في عصر المماليك، إذ كان يطلق على القاضي الذي يمثّل أدنى درجات السلّم القضائي (قاضي القضاة، رئيس القضاة، النائب). والنائب "القاضي" كان يباشر عمله في المدن الصغيرة، ويحلّ محل القضاة أثناء غيابهم عن عملهم[4].

وكان يطلق أيضاً على صاحب الأحكام في الجند، ويسمّى عندهم بالنائب لهذا العهد[5].

وفي العصر الحديث ما زالت اللفظة تستخدم، وتحمل أكثر من دلالة وتختلف بحسب ما تضاف إليه، فنائب جلالة الملك، هو الذي يقوم مقام جلالة الملك حال غيابه

---

(1) صبح الأعشى، ج٤، ص١٦، ١٧.
(2) المصدر نفسه، ج٨، ص٨٦-٨٧؛ ج٤، ص١٧.
(3) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٤٤.
(4) الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ص٤٣٢.
(5) مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، ط١، سميح دعيم، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠، ص١٠٤٢.

عن أرض الوطن، ونائب الشعب هو الممثل لأبناء الشعب في البرلمان، والقائم مقامهم في المجلس.

وثمّة استخدامات أخرى لهذه اللفظة في مختلف الدوائر والمؤسسات، فيقال: نائب الرئيس، ونائب المدير، ونائب العميد، ونائب المحافظ. ولفظ "النائب" يستوي فيها المذكر والمؤنّث، فيقال النائب "للمذكر" في البرلمان، والنائب "للمؤنّث" في البرلمان للتغليب، ولو أنّثت اللفظة، وقيل "النائبة" فإنّ دلالتها ستختلف، إذ تدلّ على المصيبة. ويمكن القول إنّ دَلالة اللفظة على النيابة والمقام مكان الآخر دلالة ثابتة تتكرّر في مختلف العصور، ولكن قد ترتقي دَلالتها، وقد تهبط بحسب ما تضاف إليه.

- **الوَزير:**

جاء في صبح الأعشى: الوزير: "**المتحدّث للملك في أمر مملكته**"، وهو من ألقاب أرباب السيوف[١]. اختلف في اشتقاقه، فقيل إنّه من "الوِزْر"، وهو الثقل؛ لأنّه يحمل عن الملك أثقاله، وقيل مشتقّ من "الوَزَر" وهو الملجأ، فالوَزَر في كلام العرب: الجبل الذي يلتجأ إليه، وكل ما التجأت إليه وتحصنت فهو وَزَر[٢]. والوزير صفة مشبّهة على زِنة (فَعِيل). والجمع وُزَراء، وأوْزار؛ كشريف وأشراف.

ورد اشتقاق اللفظ "وَزَرْ" بمعنى الجبل المنيع الذي يُلتجأ إليه في قول عمرو بن كلثوم[٣]:

لَعَمْرُكَ ما إن لَهُ صخـــرةٌ   لَعَمْـــرُكَ مـــا إن لـــه وَزَرْ

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٨.
(٢) اللسان، مادة (وزر).
(٣) شرح ديوان عمرو بن كلثوم، ص٤٥.

وورد بمعنى عدّة الحرب في قول الأعشى[١]:

وأعْدَدتَ للحَرْبِ أوزارَهـــــا   رِماحاً طِوالاً وخَيْلاً ذُكُـورا

وأعْدَدتُ للحَرْبِ أوزارَهـــــا   رِماحاً طِوالاً وخَيْلاً ذُكُـورا

وورد اللفظ صريحاً في شعر حسّان بن ثابت في رثاء حمزة بن عبد المطلب[٢]:

فإنَّ أباكِ الخيرَ حمزةُ فاعلمِـي   وزير رسُولِ اللهِ خَيرُ وزيـرِ

وورد اللفظ صريحاً في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِن أهْلِي هَارُون أخي، اشْدُد بِهِ أزْرِي﴾[٣].

وورد اللفظ صريحاً في الحديث الشريف، فقد روي عن الرسول ﷺ قولـه: "إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، وقال بالأمير خيراً، جعلَ له وزيرَ صدقٍ، إن ذكر أعانه، وإن نسيَ ذكّره، وإذا أراد به غير ذلك، جعل له وزيرَ سوء، إن نسيَ لم يذكّره، وإن ذكر لم يعنه"[٤].

فالملكَ يلْجأ إليه برأيه ومعونته، فهو يُعينه على ما هو بصدده من أعباء السياسة[٥].

وقيل مأخوذ من "الأزر" وهو الظهر؛ لأنّ الملك يقوى بوزيره كقوة الظهر[٦].

ومن جعل اشتقاقها من "أزرَ"، فإنّ الواو منه على هذا التقدير؛ تكون منقلبة عن همزة[٧].

---

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص٩٩.

(٢) شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص٢٤٢.

(٣) سورة طه، ٢٩-٣١.

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم ٢٩٣٢.

(٥) تحفة الوزراء، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق حبيب علي الراوي، وابتسام مرهون الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧، ص٤٠.

(٦) الأحكام السلطانية، ص٤٢.

(٧) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٨.

وهناك من يستبعد هذا الاشتقاق، قال أبو العبّاس المبرد "**ليس بقياس؛ لأنّه إذا قلّ بدل الهمزة من الواو في هذا الضرب من الحركات، فبدل الواو من الهمزة أبعد**"[١].

. Wazar ► >azar

ويميل العرب بين البداوة والحضارة إلى الانتقال من الهمزة إلى الواو، نحو إعاء، وعاء، فقد قرئ "إعاء أخيه"[٢]، بدلاً من وِعَاء" ويقولون "إسادة" بدلاً من "وسادة"، وربما تكون أَزَرَ من الباب نفسه[٣]. "**والوزير حَبَأُ المَلِك الذي يحمل ثقله ويُعينه برأيه، وقد استوزره، وحالته "الوَزارة" و "الوِزارة" والكسر أعلى**"[٤]. فقد ترد الكلمة بصيغتين، تشتمل إحداهما على الضم، والأخرى على الفتح، أو إحداهما على الكسر، والأخرى على الفتح، مثل (وِزارة، ووَزارة)، وتفسّر مثل هذه الظاهرة على أنها نوع من الانسجام بين حركات هذه الكلمات، إذ دلّت الملاحظة الحديثة على أنّ الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات الكلمات[٥]، وربما الكسر أعلى في (وِزارة) قياساً على فعالة كحرفة أو مهنة.

والأظهر في اشتقاقه كما يقول الثعالبي أنّه من المساعدة والإعانة[٦]، والمعنى في الاشتقاقات السابقة متقارب، إذ تعني القوة والمساعدة والإعانة.

وقيل في أصل اللفظ إنّه فارسي معرَّب، وأصله من الزُور، وهو عندهم اسم للشدة، والقوة، فاستعير وعرّب، والمعنى فيه أنّه يشدُّ من صاحب الدولة ويقويه ويعينه على ما هو عليه[٧].ولا أميل إلى هذا الرأي، إذ إنّها عندئذ ستكون (زوير).

---

(١) اللسان، مادة (وَزَرَ).

(٢) سورة يوسف: (٧٦).

(٣) في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، (ب.ت)، (ب.ط)، ص٦.

(٤) اللسان: مادة (وزر).

(٥) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٩٦.

(٦) تحفة الوزراء، ص٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ص٤٠.

ويرجع المستشرقون لفظ الوزارة إلى الفارسية القديمة (البهلوية)؛ لما بين "وزير" و "فشير" البهلوية من الشبه، ومعناها القاضي أو الحكم، مع وضوح الفرق بين القضاء والوزارة دلالياً، لا يأذن بموافقة المستشرقين على رأيهم، في اشتقاق هذا اللفظ من الأصل الفارسي القديم، يضاف إلى ذلك أنّ اللفظة وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى[1]: ﴿واجْعَل لِي وزيراً من أهلي﴾[2].

ويرجّح أحمد أمين الأصل العربي للكلمة، فالمنصب فارسي، ولكن اللفظة عربية، وكان قبل ذلك يسمّى كاتباً أو مشيراً[3]. ويرى كلوس كريز، أنّه لا يعلم بالضبط إذا كانت وظيفة الوزير من أصل عربي، أو أن تكون ذات أصول فارسية، فالدراسات لم تنته إلى نتائج حاسمة في الأمر[4].

وأول من لقّب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سلمة الخلّال وزير السفّاح، وكانوا يطلقون عليه قبل ذلك كاتب[5].

وكانت الوزارة من أعلى المناصب الإدارية في الدولة الإسلامية، ويُختار لها من اتّصف بمجموعة أخلاق يجملها المأمون بقوله "**إنّني ألتمس لأموري رجلاً هذّبته الآداب وأحكمته التجارب، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة**"[6].

وارتقت دلالة اللفظ في العصر العبّاسي، إذ كانت وظيفة الوزير من أكثر الوظائف أهمية؛ نظراً لاتساع الدولة، وكانت مهمته إسداء النصح ومساعدة الخليفة[7].

---

(1) سورة طه، ٢٩.
(2) النظم الإسلامية، نشأتها وتطوّرها، صبحي الصالح، ط١، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٩٤.
(3) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ص١٦٥.
(4) معجم العالم الإسلامي، ص٧٠٥.
(5) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٩.
(6) الأحكام السلطانية، ص٤٠.
(7) معجم العالم الإسلامي، ص٧٠٤، ٧٠٥.

وفي الدولة الفاطمية، كانت وظيفة الوزير من أرفع الوظائف وأعلاهـــا رتبـــة، فكانت تارة في أرباب السيوف، وأخرى في أربـــاب الأقـــلام، فتعلـــو، فتكـــون وزارة تفويض، ويعبّر عنها بالوزارة، وأخـــرى تنحـــط فتكـــون دون ذلـــك ويعـــبّر عنـــها بالوساطـــة[1].

وفي عهد الأيوبيين، اتّخذ السلاطين في مصر وزراء، واستحدثوا نيابة السـلطنة، وأصبح النائب يتمتّع بكل ما يتمتّع به الوزير من قبل، إلاّ أنّ سلطته لم تضعف إلى حـد كبير وفق ما قاله القلقشندي "**إنّها أجلّ الوظائف وأرفعها رتبة في الحقيقة**"[2].

أمّا في عصر المماليك، فلم يكن للوزارة شأن كبير، وهذا ما أشار إليه القلقشندي بقوله: "**أمّا الوزارة في زماننا، فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبقَ منها إلاّ الاســـم دون الرسم**"[3].

ويرادف لفظ الوزير في عصر المماليك لفظ "الصاحب"، وهو مختصّ بأربـــاب الأقلام، وأصله في اللغة، الصديق، وأوّل من لقّب به "الصـــاحب بـــن عبـــاد" وزيـــر البيويهيين، ولقّب به لمصاحبته ابن العميد، فكان يطلق عليه (صـــاحب ابـــن العميـــد)، وغلب عليه حتى استعمل فيه الألف واللام، وصار لقباً على من ولي الوزارة بعـــده[4]، والصاحبي نسبه إليه للمبالغة.

ومن ألقابهم أيضاً "المشير"، وهو الناصح الذي يُؤخذ برأيه. وكان يستعمل لقباً في حالة إضافة إلى ياء النسب "المشيري"، وكان من ألقاب الوزراء وأكابر الأمـــراء مـــن

---

(1) صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٨-٤٧٩.
(2) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨.
(3) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٤٩.
(4) المصدر نفسه، ج٦، ص١٧، ١٨.

رتبة مقدّمي الألوف[1]. وتشير دلالة اللقب على أصالة الرأي والحكمة، وكان يضاف إلى ألقاب أخرى مثل: مشير الدولة، مشير السلطنة، مشير الملوك والسلاطين[2].

ومن ألقاب الوزراء أيضاً "**الناظر**"، وهي وظيفة، أوجدها السلطان الناصر محمد ابن قلاوون بعد إلغائه الوزارة[3]. والناظر الذي ينظر في الأموال وينفّذ تصرفاتها، ويُرجع إليه حسابها، وهو مشتقّ إمّا من النظر الذي هو رأي العين؛ لأنّه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإمّا من النظر بمعنى "الفكر"؛ لأنّه يفكّر فيما فيه المصلحة من ذلك[4].

والناظر اسم فاعل من نظر، وهو المتولّي إدارة أمر ما. ودلالة (الناظر) تختلف باختلاف ما يضاف إليها "كناظر الجيش" المتحدّث في أمر الجيش، أو "ناظر الخاص"، وهو الذي ينظر في خاص أموال السلطان[5]، و"ناظر الأحباس"، وهي وظيفة يصفها القلقشندي بأنّها عالية المقدار، وصاحبها يتحدّث في رزق الجوامع والمساجد والمدارس[6]، وتعادل وزارة الأوقاف في عصرنا الحاضر[7]، ويقال: ناظر المدرسة، وناظر الضيعة، والجمع نظّار[8].

وقد أطلق لقب (الناظر) على الوزراء في إمارة شرق الأردن، ففي وزارة حسن خالد أبو الهدى الأولى عام ١٩٢٣ كان يقال: ناظر المالية، وناظر المعارف، وناظر

---

(1) صبح الأعشى، ج٦، ص٧٠.
(2) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٩، ١٤٧.
(3) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠.
(4) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٥.
(5) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٥.
(6) المصدر نفسه، ص٣٨.
(7) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٤١.
(8) المعجم الوسيط، مادة (نظر).

العدلية[1]. وكان قبل ذلك يطلق عليه لقب "المشاور"[2]، ثمّ ظهر لقب الوزير، وألغيت الألقاب السابقة، وكان ذلك في وزارة (أبو الهدى) الثالثة عام ١٩٢٩[3].

ويلاحظ ممّا تقدّم ورود عدّة ألفاظ لمصطلح "الوزير"، مع أنّ المعنى أو المدلول واحد، فورد: "الناظر، والمشير، والصاحب"، ويطلق على مثل هذه الظاهرة (الترادف).

أمّا في العصر العثماني، فقد كان لمنصب (الوزير) أهميته وخطورته، إذ كان يمثّل المستشار الأول للسلطان، وكان يسمّى "البرقان" pervan ، أو "بيرفانجي pervaneci ، وهو مصطلح فارسي، ومدلوله قائد أو مفتّش، أو صاحب براءة سلطانية، وكانت سلطاته المخوّلة له واسعة[4].

ومع اتّساع الدولة زادت أهمية مركز الوزير واختصاصاته، فأنشئ منصب "الوزير الأول"، حيث أبطل استخدام لفظة "بيرفان" واستبدلت الدولة مصطلحاً جديداً "أولووزير"؛ أي الوزير الأول، أو "وزيري أعظم"، أي الوزير الأعظم، فعادت الدولة العثمانية إلى استخدام لفظة الوزير، ثمّ أصبح لقبه في عهد سلاطين الفترة الثانية "الصدر الأعظم"، ومعناه "أعظم كبار الموظفين"[5].

---

(1) الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية ١٩٢٣-١٩٩٣، جمع أحمد القضاة، تحقيق عيسى أبو سليم، منشورات دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٩٣، ص١٦.

(2) المرجع السابق، ص١٠.

(3) المرجع السابق، ص٢٠.

(4) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، عبد العزيز الشنّاوي، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٥٧-٣٥٨.

(5) المرجع نفسه، ص٣٥٩.

والوزير الأول يماثل الآن منصب رئيس الوزراء، وتستخدم حالياً في: تونس، والجزائر. والوزير في العصر الحالي، يعدُّ رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون الدولة، مختصاً بجانب منها؛ كوزير العدل، ووزير المالية[١].

ويُعْرف (الوزير) في تونس الآن بكاتب الدولة، ويرى إبراهيم السامرائي أنّهم عدلوا عن الوزير، وهو كلمة واحدة إلى هذا التركيب الإضافي تقليداً وترجمة للكلمة الفرنسية "secretaired, Etat" ، ولم تكن لفظة "الوزارة" في جدول مناصبهم الرسمية، فيقال: كتابة الدولة للتربية االقومية، وكتابة الدولة للفلاحة[٢].

ولا تختلف مهمة الوزير في الوقت الحاضر في البلدان العربية والإسلامية عمّا هي عليه في معظم البلدان الأوروبية أو الغربية بعامة[٣].

- ولِيُّ العَهْد:

جاء في صبح الأعشى "**ولي العهد: أن يَعْهد الملك بالمُلْك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب**"[٤]. وقد جرت عهود من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الكثير من العلماء وأهل الحلّ والعقد الذين يمضون الحكم ولم ينكروه، وذلك منهم دليل الجواز[٥].

وولي العهد لفظ مركّب من مضاف "وليّ" ومضاف إليه "العهد"، وكلاهما ورد في الشعر الجاهلي، قال أميّة بن أبي الصلت[٦]:

---

(١) معجم الوسيط، مادة (وَزَرَ).
(٢) التطوّر اللغوي التاريخي، ص٢١٤، ٢١٥.
(٣) معجم العالم الإسلامي، ص٧٠٥.
(٤) صبح الأعشى، ج١٠، ص١٥٨.
(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٥٨.
(٦) ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص٥٢٨.

وليٌّ لَهُ من دونِ كُلِّ ولايـــــــةٍ إذا شاءَ لم يُمْسُوا جميعاً مواليـا

فالموالي هنا بمعنى الورثة. وورد اشتقاق اللفظ "المولى" بمعنى الصديق والقريب فـــي قول الأعشى[١]:

وإنِّي لَتَرَّاكُ الضَّغينةِ قَـــد أرَى قَذَاها مِنَ المولَى فلا أستَثِيرُهَـا

وورد اللفظ "الولي" في القرآن الكريم بمعنى الصديق، قال تعالى: ﴿مَا لَـهُم مِـنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[٢]، وجاء اللفظ بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿ألاَ إنَّ أولِيَاءَ اللهِ لا خَـوفٌ عَلَيهِم﴾[٣]، وأولياء الله الذين يوالونه بالطاعة.

وفي صحيح البخاري في الحديث عن الصدقة، قال أبو بكر -رضي الله عنـه-: "أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقبضها أبو بكر فعمل فيها"[٤].

وورد لفظ العهد في الشعر الجاهلي بمعنى الميثاق في قول الأعشى يمدح شـريح ابن حصن[٥]:

فَكَانَ أوفاهُم عَهْداً وأمْنَعهُـــمُ جاراً أبوكَ بُعْرف غَيْرِ إنكـار

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بمعنى الوصية، قال تعالى: ﴿ألَمْ أعْهَد إليكُم يَا بَنـي آدم﴾[٦]، وجاء بمعنى الميثاق في قوله تعالى ﴿وأوفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسؤولا﴾[٧].

---

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٧٣.
(٢) سورة الشورى، الآية ٨.
(٣) سورة يونس، الآية ٦٢.
(٤) صحيح البخاري، ج٨، ص٤.
(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص١٧٩.
(٦) سورة يس، الآية ٦٠.
(٧) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

وجاء في الحديث الشريف في حديث عاصم بن ثابت مع جماعة من بني لحيان "فقالوا لهم انزلوا وأعطونا ما بأيديكم ولكم العهد والميثاق" [١]، وقال صلى الله عليه وسلّم "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة"[٢].

فوردت بمعنى الصلة والرابط.

ووليٌّ: فعيل بمعنى فاعل، من قولهم وليَ فلان الشيء ويليه فهو والٍ، ووليّ، وأصله من الولْي بسكون اللام وفتحها، الذي هو القرب، ومنه يقال للمحبّ ولي؛ لأنّه قريبٌ منه بالمحبّة، وللوالي؛ لأنّه يلي القوم بالتدبير والأمر[٣].

ووليٌّ: من ولِيَ waliyy ⟵ wa/li/ya ، وعندما يُبنى منها (فعيل) تكون "wa/liyiy" (ولِيِي)، إذ إنّ الياء الأولى (ياء) فعيل، والثانية لام الكلمة، ويأتي صوت ثالث مماثل وهو الكسرة التي تلي آخر حرف صحيح (اللام)، فلمّا توالت هذه الأصوات الثلاثة المتماثلة ثقلت على اللسان فجرى إدغام اليائين فنقص عدد الأصوات المتماثلة فصارت (waliyy) وليّ بمعنى والٍ.

والوليُّ من الألفاظ المشتركة التي تقع على عدّة معانٍ: فهو اسم من أسماء الله تعالى وهو الناصر المتولي لأمر الخلق والعالم، والولي الصديق والنصير والمحبّ والقريب، والولي: ولي اليتيم الذي يلي أمره، وولي المرأة، الذي يلي أمرها، والولْيّ هو المطر يأتي بعد الوَسْمي، سمي بذلك لأنّه يأتي بعد الوَسْمي، والجمع "أوْلية" سمي وليا

---

(١) صحيح بخاري، ج٣، الحديث رقم ١١٠٨.

(٢) صحيح ابن حيان، ج٤، الحديث رقم ٣٠٥.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الهتانوي، تحقيق علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦، ص١٨٠٦-١٨٠٧.

وهو ارتباط مادي، فالمطر: ولِيّ وعهد، مجازاً أو استعارة للتفاؤل، إذ يفترض أنّ المطر سيلي الأرض، وكأنّ الأرض متعاهدة مع المطر، فهو الذي يليها لتزدهر بالحياة.

ولمّا أضيفت الكلمتان (ولي، العهد) عُرّفت الأولى بالثانية، فالمراد من كلمة ولي (والي) لوجود العهد، وهو بمعنى "الميثاق"، والمعنى والي الميثاق. فانقلبت دلالة الكلمتين من دلالة ماديّة إلى دلالة معنوية، تعني تَمَلّك أمراً ما والقيام به.

وتبقى دلالة (التركيب) تحمل التفاؤل والأمل لتتساوى مع ما يُوحي به من تشاؤم، فولي العهد يأتي بعد موت الوالي أو الخليفة الحالي؛ الذي تكون النفوس قد ارتبطت به ارتباطاً شديداً، ومجيء ولي العهد بعده يشعر باستمرارية العهد المألوف "كالمطر يلي المطر"[١].

(وولي العهد) تركيب لم يكن معروفاً في بدايات الدولة الإسلامية زمن النبي ﷺ، ولا عند الخلفاء الراشدين، فهو من الألفاظ المولّدة، ويقصد بالمولّد "**اللفظ العربي الأصيل الذي نقلت دلالته إلى معنى لم يعرفه العرب القدماء**"[٢].

ويرى اللغوي الفرنسي (دارمستتر) أنّ الألفاظ الجديدة تُولَّد عن طريقين: وضع كلمات جديدة، أو عن طريق خلق معانٍ جديدةٍ لكلمات موجودة[٣]، وهذا ما حصل مع لفظة ولِيّ مُضافة إلى العَهْد، فالكلمتان موجودتان بالأصل، وكل كلمة منفصلة تحمل دلالة معينة، وبإضافة الكلمتين معاً، ظهر معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل.

---

(١) المعجم الوسيط، مادة (عهد).

(٢) المولد، ص٢٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٢.

وكانت بدايات ظهور المصطلح في العصر الأموي، إذ إنّ أوّل من استخدمه معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ)، وكان المغيرة بن شعبة أول من أشار عليه بولاية ابنه يزيد للعهد سنة ٤٩هـ. فعندما تقلّد معاوية الحكم بذل جهوداً سياسية لتحويل السلطة إلى طابع وراثي بتعيين الخليفة لولي عهد[١].

ويرى حسين عطوان أنّ دعوة معاوية لاستخلاف ابنه قامت على أربعة أسس: الأول عاطفي شخصي؛ إذ كان يريد لابنه أن يرث الخلافة عنه، والثاني عصبي أموي فكان يهدف إلى أن تستقر الخلافة في قومه من بني أميّة، والثالث عربي إسلامي فكان يعتقد أنّ ابنه جمع صفات الرئاسة القبلية من شرف النسب ورحابة الصدر، والخلق الطيّب، والرابع سياسي وظيفي، فإنه كان يرى أنّه ينبغي للخليفة أن يفكر في ولاية أمر المسلمين من بعده، وأن يحرص على وحدة جماعتهم وائتلاف كلمتهم[٢].

وقد توسّع الأمويون في استخدام المصطلح، وأعطيت ولاية العهد لاثنين، يلي أحدهما الآخر، إذ يجوز أن تعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب، فقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ثمّ بعده إلى يزيد. ورتبها الرشيد في العصر العباسي في ثلاثة من أبنائه "الأمين، والمأمون، والمؤتمن"، وقد أدّى ذلك إلى الشقاق والمنافسة بين الأفراد[٣].

وأصبح توارث المُلك أصلاً متعارفاً عند الناس في الدولة الأموية، وحافظ العباسيون على تعيين ولي العهد على أسس وقواعد وراثية[٤]. وورد المركّب الإضافي ولي العهد عند شعراء العصر، قال جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك[٥]:

---

(١) تاريخ الطبري، المجلد الثالث، ص٢٦٠ وما بعدها.

(٢) نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، حسين عطوان، ط١، دار الجيل، بيروت:٩-١١.

(٣) صبح الأعشى، ج٩، ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) مفهوم الملك عند المغرب، ص١٣٢.

(٥) شرح ديوان جرير، شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٦.

إنّ الإمامَ الذي تُرْجَى نوافِلُـــــه بعد الإمام؛ وليُّ العَهْدِ أيّـــوبُ

وفي عصر المماليك، حَرَصَ عدد من الســـــلاطين أمثـــال (الظـــاهر بيـــبرس، وقلاوون) على تعيين ولاة عهودهما في حياتهما، فالظاهر بيبرس جعل ابنه (بركة) ولياً لعهده، وقلاوون جعل ابنه (عليا) ولياً لعهده، وملكاً إلى جانبه[1]. وهذا نفسه ما حـــدث أيّام الأمويين؛ لأنّ معاوية عيّن ابنه ولياً للعهد في حياته.

ويعرض القلقشندي نماذج من المكاتبة إلى ولاة العهد بالخلافـــة وكيـــف يكـــون التصدير في المكاتبة إلى ولي العهد[2].

ولا تزال اللفظة مستخدمة، في الوقت الحاضر، وتحمل الدلالة نفسها التي كـــانت سائدة في عصور سابقة، فَوَلِيّ العَهْد هو وارث الملك، ويكون الابن أو الأخ. ويلاحـــظ في هذه اللفظة محافظتها على دلالتها، فلم تتـــأثّر بـــالرقي أو الانحطـــاط الدلالـــي، وتستخـــدم في الدول التي تتبع النظام الملكي والسلطاني والأميري.

يقدّم ما سبق من مادة صورة واضحة عن ألفاظ القيادة والحكم، إذ تبيّن أنّ ثمّـــة ألفاظاً أصابها رُقيٌّ في الدلالة من مثل: الملك، والسامي، وأصاب بعضها انحطاط فـــي الدلالة في العصر الحديث، ومن ذلك: لفظ الخليفة، والناظر، وهناك ألفـــاظٌ خصّصـــت دلالتها، كما في البريدي، والقنصل، وألفاظ أخرى استمرت دلالتها مع توسّع بيّن فـــي استعمالها، كما يبدو ذلك في لفظي الرئيس، والنائب، وألفاظ استقرّت دلالتها، كما فـــي لفظي ولي العهد، والوزير.

---

(١) صبح الأعشى، ج١٠، ص١٦٣، ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٥٦، ٩٨؛ ج٧، ص١٣٤، ١٣٥.

الفصل الثّاني

الألقاب التبجيليّة

ظهرت في صبح الأعشى مجموعة من الألفاظ التي استعملت ألقاباً تعظيمية وتفخيمية، التي امتدّت جذورها إلى عصور سابقة من الجاهلية حتى العصر الحاضر، لكنّها بدت أكثر ظهوراً في عصر القلقشندي والعصر الحاضر، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

الحَضْرَة:

جاء في صبح الأعشى: "**الحضرة يُراد بها صاحب اللقب**"، وهي من الألقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء، وكان يُقال فيها الحَضْرَة العالية، والحَضْرَة السَّامية، وتستعمل الآن في المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك. ويُقال فيها "**الحضرة الشريفة العالية**"، و"**الحضرة الكريمة العالية**"، و"**الحضرة العليَّة بحسب ما تقتضيه الحال**"(1).

وورد اللفظ وما اشتقّ منه في الشعر الجاهلي بمعنى الحضور، أنشد الليث(2):

فشلَّت يَداهُ يومَ يَحْمِلُ رايةً إلى نهشلٍ والقومُ حضرة نهشلِ

وقال لبيد(3):

فالواديان فكلُّ مَغْنَىً مِنهُمُ وعلى المياهِ مَحَاضِرٌ وخِيامُ

---

(1) صبح الأعشى، ج5/498.

(2) نُسب البيت إلى المتنخل الهذلي في فهارس لسان العرب (الشعر)، مجلد6، تصنيف خليل عمايرة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص475، ولم أعثر عليه في ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

(3) ديوان لبيد، ص288.

ومَحَاضِر جمع مَحْضِر، ويطلق على نُزُل المقيمين ومساكنهم، ومن اشتقاقه الحاضر بمعنى ساكن الحضر في قول عبيد بن الأبرص[1]:

إنَّ أمامَكَ يَوْماً أنْتَ مُدْرِكُـــــــهُ   لا حاضرٌ مُفْلِتٌ منه ولا بـــادي

وورد اللفظ في كثيرٍ من الأحاديث الشريفة، بمعنى الحضور والوقت فـــي قـــول عائشة "دفّت دافّة من أهل البادية، حضرة الأضحى فقال رسول الله ﷺ : كلّوا وادخـــروا ثلاثاً"[2]، وورد بمعنى الحضور والمشاهدة في حديث الصبح "فإنَّ الصــــلاة محضـــورة مشهودة"[3]. وقال عليه السلام: **"قولوا ما بِحَضْرَتِكُم؛ أي ما هـــو حـــاضرٌ عندكـم ولا تتكلّموا"[4].**

والحَضْرَة اسم مرّة على زِنة (فَعْلة) من حَضَر حُضُوراً، والجمــــع حَضَـــرات. ويبدو أنّ الحَضْرَة قد تكون بمعنى اسم مفعول؛ أي المكان الذي يحضره الآخـــرون، أو أنّها مصدر وضع موضع اسم المكان، أو بمعنى المقَام العالي، أو الحَضْرَة العليّة، ثـــمّ حذفت الصّفة العليّة لكثرة استعمالها، وبقي الموصوف الحَضْرَة دالاً على هذه الصّفة، أو أنّ هناك حَضْرَة القائد السَّامي أو العظيم، أو أنّها صفة الرجل الحَضْرَة؛ أُضيفت الصّفـة إلى موصوفِها.

واشتقّت الحضرة من "حَضَرَ" التي تأتي على معانٍ كثيرة منها: الحضور نقيـض المغيب، وبحضرة فلان: بمشهد منه، وفلان حسن المحضر الذي يذكر الغائب بخـــير، والحَضَر والحضَرة والحاضرة خلاف البادية، سميت بذلك لأنَّ أهلها حضروا الأمصـار

---

(1) <u>ديوان عبيد بن الأبرص</u>، تحقيق وشرح حسين نصار، ط١، مطبعة مصطفى الحلبـــي، مصـــر، ١٩٥٧، ص٤٩.

(2) <u>سنن النسائي</u>، ج٧/٢٣٥.

(3) <u>سنن النسائي</u>، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن دينار النسائي (ت٣٠٣هـ)، ج١، كتاب المواقيت، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص٢٨٠.

(4) <u>النهاية</u>، ٣٩٩/١١.

ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. والحاضر: الحي العظيم، والحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم، والحاضر: المُقيم على الماء، لا يرحل عنه. وحُضِر المريض إذا نزل به الموت[١]، ويقال في الحضرة: حَضْرة، وحِضرة، وحُضْرة[٢]، والمعاني في الاشتقاقات السابقة متقاربة، إذ تعني القدوم إلى مكان، أو المشاهدة في مكان، أو القرب من المكان.

وعند دوزي: الحضرة دار السلطان، وهو لقب تشريف[٣]، ومن قولهم: حضرة الرجل قربه وفناؤه، اشتقّت الحضرة لقباً فخرياً، وهو أحد الألقاب المكانية، إذ استعير المكان للتعبير عن الشخص، وأوّل ما بدأ للكناية عن الخليفة كما يذكر القلقشندي، والسبب في استعماله، بأنّه لمّا استولى بنو بويه على الحكم وغلبوا الخلفاء، واستبدّوا عليهم، واحتجبوا وفوّضوا إلى الوزراء الكتابة عنهم، كانوا إذا أرادوا التعبير عن الخليفة في مكاتباتهم يشيرون إلى مكانه بدلاً من اسمه[٤].

والحضرة من الألقاب التي استعملت في الدولة العباسيّة كغيرها من الألقاب المكانية. وكانت تعني دار الخلافة[٥]، واتّخذها الفاطميون للتعبير عن الخليفة، والذي يؤيّد ذلك ما أورده ابن تغرى بردى في كتاب كتبه يعقوب بن كلِّس عن الخليفة العزيز

---

(١) اللسان، مادة (حضر).

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٣٨٢.

(٣) دوزي، تكملة المعاجم العربية، دينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، مادة (حضر)، ج٣، ص٢٢٥.

(٤) صبح الأعشى، ج٥/٤٩١.

(٥) التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، دار الفرقان، ط١، ١٩٨٦، ص٤٧.

الفاطمي إلى عضد الدولة، وقد أجاب عضد الدولة بكتاب خاطب الخليفة الفاطمي بالحضرة الشريفة[1].

واستعمل اللقب (حَضْرَة) مجرّداً للإشارة إلى بني بويه، إذ أطلق على حَضْرَة الأمير أبي شجاع عضد الدولة في نصّ تذكاري سنة ٣٤٤هـ، ثمّ استعمله السلاجقة، وأطلق على حَضْرَة الأمير ألب أرسلان في نقش سنة ٤٥٩هـ[2].

وأمّا في العصر الأيوبي، فقد توسّعوا في استخدام لقب الحَضْرَة فأضيف إلى مجالسَ متنوّعة لأشخاصٍ دون الوزراء في المرتبة، فجعل مجلس الحضرة دون المجلس السامي، وذكر ابن شيث أعلاها المجلس السامي، ثمّ مجلس الحضرة، ثمّ الحضرة، ثمّ حضرة مولاي[3].

واستعمل اللقب في عصر المماليك في حالات متعدّدة، إذ أطلق على لقب ملوك الدول الإسلاميّة في المغرب والأندلس[4]، وبلاد إفريقيا، فكانت الحضرة العليّة السَّنيَّة من ألقاب صاحب تونس[5].

واستعمل اللقب لملوك النصارى، ورتّب القلقشندي استعمالاته بالنسبة لملوك النصارى، وذكر أنّه استعمل إمّا بأداة التعريف، أو أن يقتصر على لفظ حضرة مع الإضافة، وقسّم الحالة الأولى إلى خمس درجات، هي: الحضرة السامية من ألقاب البطريرك في الديار المصرية، والحضرة العالية من ألقاب ملك الحبشة، والحضرة

---

(1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغرى بردي، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، م٢، ج٢، ص١٣.

(2) الألقاب الإسلامية، ص٢٦٠، ٢٦١.

(3) معالم الكتابة، ص٥٩.

(4) صبح الأعشى، ج٦، ص٥٣٤.

(5) نفسه، ج٦، ص١٢٩.

العليّة من ألقاب ملك الكَرْج، والحضرة المكرّمة من ألقاب صاحب قبرص، والحضرة الموقّرة من ألقاب صاحب الأُدْفُونش، وتُستعمل لهم حسب أهميتهم[١].

أمّا النوع الثاني، فهو ما يصدر بلفظ حضرة مع الإضافة، وصورتها ما ورد في ألقاب صاحب القسطنطينية، وألقاب ملك الكَرْج "حضرة الملك"، وألقاب صاحب البندقية "حضرة الدُوك الجليل"[٢].

واستعملت الحضرة لقباً من ألقاب زعماء أهل الذمّة، إذْ إنّ أعلى ألقابهم الحضرة، ثمّ حضرة الشيخ، ثمّ الشيخ مجرّداً عن حضرة[٣]. ويلاحظ ممّا سبق أنّ استخدام اللفظ ميّز بين الحضرة المعرّفة بأل التعريف، والحضرة المعرّفة بالإضافة، إذ المعرّفة بالإضافة دلالتها أعلى من المعرّف بأل، فقد جاء في حاشية الصبّان أنّ المضاف في رتبة ما أُضيف إليه مطلقاً، والأكثر أنّ المضاف إلى المضمَر في رتبة العلم، وترتيب المعارف: الضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، ثمّ المحلّى بأل[٤].

ووردت اللفظة مضافة إلى السلطان وإلى الملك وإلى القدس، وغيرها من الألفاظ في عصر المماليك، قال صفي الدين الحلّي[٥]:

فَيَا حَضْرَةَ القُدسِ التي مُذْ شهدتُها ... تيقَّنَ قَلبي بالوُصُولِ إلى ربِّي

وقال أيضاً[٦]:

رَضِيتُ ببذْلِ النَّفسِ حينَ تبوّأت ... من حضرةِ السُلطانِ أشرفَ مجلسِ

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص١٧٣-١٧٦.

(٢) نفسه، ج٦، ص١٧٧.

(٣) نفسه، ج٩، ص٢٦٥.

(٤) حاشية محمد بن علي الصبّان على شرح علي بن محمد الأشموني، تحقيق مصطفى حسين أحمد، ج١، دار الفكر، ص١١٨، ١١٩.

(٥) ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر، بيروت، ص٦٧٥.

(٦) نفسه، ص١٨٠.

والحضرة من الألفاظ المؤنّثة تأنيثاً لفظيّاً غير حقيقي، يذكر القلقشندي أنّ تــأنيث اللقب الأصل الذي يتفرّع عنه الألقاب الفروع له حالتان: أن يكون اللقب فــي الأصــل لمؤنّث حقيقي مثل الدار، والجهة؛ إذ كنى بها عن المرأة في الكتابـــة، فيقــال: الــدار الكريمة، الجهة المصونة[١].

والنوع الثاني: أن يكون اللقب في الأصل لمؤنّث غير حقيقي كالحضرة، فـــهي تطلق على الذكور، فتأتي الألقاب المؤنّثة المفرّعة عنها مؤنّثة، بناءً على أنّ الصفة تتبع الموصوف في تذكيره وتأنيثه[٢]. ويبدو أنّ الحَضْرَة حالياً تطلق أيضاً على الإناث، فيقال حَضرة السيدة، وبهذا تكون اللفظة لمؤنّث حقيقي.

ومن نعوت الحضرة أن يقال "الحضرة الشريفة، العالية"، وربّما أتــي للحضــرة بلقبين فأكثر طلباً للتعظيم، ثمّ يُعْدل إلى الألقاب المذكّــرة، فيقــال: "**الحضــرة العاليــة المكرّمة**"، ثمّ يُقال "**حضرة الملك الجليل**"[٣]. وواضح أنّ الجليل لقــب للمَلِــك وليســت للحَضْرَة.

وقد استخدم مصطلح الحضرة عند الصوفية وتعني المثــول فــي حضــرة الله، ويقابلها كلمة "غيبة"[٤]. والحضرة عند الصوفية، هي الحضرات الخمس الإلهية: وهـــي حضرة الغيب المطلق، والحضرة العلمية، وحضرة الغيب المضاف، والشهادة المطلقـــة والجامعة[٥].

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص٧٧.

(٢) نفسه، ج٦، ص٧٧.

(٣) نفسه، ج٦، ص٩٥.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (حضرة).

(٥) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشـــاد، القــاهرة، ١٩٩١، ص٩٩-١٠٠.

ويطلق على الحفلات الدينية التي يقيمها الصوفيّة كل جمعة، أو من أيام الجمعات الحضرات[١]، والحضرة العمائية عند الصوفية هي أعلى درجات التجلّي الإلهي وحضرات الحسّ؛ هي التجلّيات الإلهية التي لا يدركها المرء إلاّ بحواسّه الباطنة[٢]. ويبدو ثمّة علاقة بين دلالة اللقب عند الصوفية، ودلالته مصطلحاً سياسياً، فهو مصطلحاً سياسياً يفيد التعظيم والتفخيم لصاحب اللقب، فتدلّ الحضرة على الحضور المتواصل للملك أو السلطان، سواء أكان حاضراً أم غائباً. والحضرة في مصطلح الصوفية تفيد التعظيم؛ لأنّهم في حفلاتهم الدينية ويذكرون الخالق ويعظّمونه، يشعرون وكأنّهم في حضرته.

وأمّا الحضرة في العصر الحالي؛ فهي من الألقاب التي تُضاف عند مخاطبة الملوك والسلاطين والأمراء، فيقال: حضرة صاحب الجلالة، حضرة السلطان، وتطلق في مخاطبة عامّة النّاس، فيقال: حضرة السيد، فيلاحظ التوسّع الدلالي في استعمالها، فلم تعد تقتصر في المخاطبة على الملوك ونحوهم، وإنّما أصبح يخاطب بها عامّة النّاس، ويشاع عند بعض العوام فلان صاحب حضرة، أي صاحب هيبة ومكانة.

- **خَادِمُ الحَرَمَيْن الشَّرِيفين:**

جاء في صبح الأعشى "**خادم الحرمين الشريفين من الألقاب السلطانية، والمُـواد حرم مكّة المشرّفة والمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام**"[٣].

واللقب مركّب من ثلاث كلمات، الأصل منها كلمة "خادم"، ثمّ أضيف إليها لفظ الحرمين، ووصفا بالشريفين.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (حضرة).

(٢) معجم دوزي، مادة (حضرة)، ج٤، ص٢٣٥.

(٣) صبح الأعشى، ج٦، ص٤٦.

والخادم اسم فاعل، على زِنة (فَاعِل)، من خَدَم خِدمةً، والجمعُ خُدّام وخَدَم وخِدَام، وهي خادِم وخادِمة[1]. ويبدو أن اختيار (خَادِم) دون غيرها من الألفاظ لدَلالتها على التواضع، وشموليتها على معانٍ متعدّدة، ورد اشتقاقها في الشعر الجاهلي، قال الأعشى[2]:

وتُلْفى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابنةَ عمِّها   كَمَا كانَ يُلْفى النَّاصفَاتُ الخوادِمُ

فورد لفظ الخَوادِم جمعاً لكلمة خَادِم وهي السيّدة التي تقوم بالخِدمة.

ولم ترد اللفظة، واشتقاقاتها في القرآن الكريم، ولكنّها وردت في الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الخادم راعٍ في مال سيّده ومسؤول عن رعيته"[3]، وحديث أم سليم "فقالت أم سليم يا رسول الله إنّ لي خُوَيْصَة، والخُوَيْصَة تصغير خاصة، قال ما هي: قالت: خادمك أنس فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلاّ ودعا لي"[4]. ومن ذلك حديث فاطمة وعلي -رضي الله عنهما-: "اسألي أباكِ خادِماً يقيك حرّ ما أنتِ فيه"[5].

والخادم واحد الخدم غلاماً كان أو جارية يستوي فيها المذكّر والمؤنّث، وهي عربية فصيحة[6]، وخَدَمه يَخْدُمُه ويَخْدِمِه، وخَدَم اسم للجمع، ومثله عازب وعَزَب، والخِدْمة المَهْنَة والمِهْنة، يقال للأَمة إنها لحسنة المِهنَة والمهْنَة والمَاهِن، العبد[7].

---

(1) اللسان: مادة (خدم).

(2) ديوان الأعشى الكبير، ص٨١.

(3) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، ج١، ص٢١٥.

(4) صحيح البخاري: كتاب الصوم، ج٢، ص٢٤٧.

(5) النهاية، ج٢، ص١٥.

(6) اللسان، مادة (خدم).

(7) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، الجزء الأول، السفر الثالث، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص١٤٠-١٤١.

وفي معجم مقاييس اللغة[1]: الخاء والدال والميم أصل واحد متقارب، وهو إطاقة الشيء بالشيء، قال الخليل: "**ومن هذا الباب (الخَدَمَة) اشتقّ الخادم لأنّ الخادم يطوف بمخدومه**"[2]. فإحاطة الخدمة بالساق أو الحلقة المستديرة المُحكمة كإحاطة الخادم بمخدومه.

وفي دائرة المعارف الإسلامية: الخادم كلمة عربية تستعمل في التركية بمعنى فرعي وهو "الخصيّ"، وتطلق على المذكّر والمؤنّث[3].

ويرد لقب الخادم في المكاتبات، يعبّر به صاحب الكتاب عن نفسه، وهو بهذا يبيّن الصلة بين المكتوب عنه والمكتوب إليه، ويسمّى في مصطلح الكتاب الترجمة[4].

وغلب استعمال "الخادم" في الترجمة إذا كانت المكاتبة مرسلة عن أحد الملوك إلى ديوان الخلافة، ويبيّن ابن شيث أنّ الترجمة إلى الديوان الشريف كانت من ذوي الولايات "العبد" ومن الملوك "الخادم"[5].

ودلّت مكاتبات القاضي الفاضل على أنّه كان يترجم بالخادم عن أصحاب الولايات إلى السلطان، كما تشير إلى ذلك مكاتبات صلاح الدين إلى الصالح إسماعيل، حيث ترجم عن نفسه "بالخادم"[6].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة خدم.

(2) معجم العين، مادة خدم.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، مادة خادم.

(4) الألقاب الإسلامية، ص٢٦٦.

(5) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحمن بن شيث، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص٥٦.

(6) الألقاب الإسلامية، ص٢٦٧.

وأضيف "الخادم" إلى "الحرمين" وهو مثنّى الحرم ويقصد بهما المدينة ومكّة، وقد اشتقّ "الحرم" من مادة (حرم)، والحِرْم بالكسر، والحرام نقيض الحلال، وجمعه حُرُم[1]. قال تعالى: ﴿وأحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِبَا﴾ [2]، وحرمة الرجل حَرَمه وأهله، وحرم الرجل ما يقاتل عنه، والحرمان: مكّة والمدينة، ويقال: بلد حَرام، ومسجد حرام، قال تعـــالى: ﴿فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَام﴾ [3]، و﴿جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البَيْتَ الحَرَام قِيَاماً للنَّاس﴾ [4]، والشهر الحرام، سُمّي بالمحرم لأنهم كانوا لا يستحلّون فيه القتال، وأضيـــف إلـــى الله تعالى تعظيماً.

ومكّة والمدينة من أطهر بقاع الدُنيا معظمة ومشرّفة، فلا يحلّ القتال فيـــهما، أو انتهاك حرمتها[5]. فالاشتقاق اللغوي لهذه المادة يعطي دلالة المنع وعدم الانتهاك[6].

فعندما أضيفت كلمة (الحرمين) إلى كلمة (خادم) زادتها تشريفاً وتعظيماً، فارتقت دلالتها، فمن الفخر والعظمة أن يتلقّب الحكّام بمثل هذا اللقب، والزيادة في التشـــريف، وُصِفَ الحَرَمين بالشرف، فقيل "الحرمين الشريفين" فالاختيار لمثل هذه الألفاظ المركّبة، لا بُدَّ أن يحمل دلالة، وفي ذلك يقول حسين خريوش "**إنّ الأسماء ليست تبلـــغ الغايـــة القصوى من حفز النفس وتحريكها في كل تسمية، بل تؤثّر فيها، بحسب مـــا تكـــون عليه حقيقة التسمية من الإبداع في كثير من المجالات المعنوية، فاســتجابة النفــوس**

---

(1) اللسان، مادة حرم.

(2) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(3) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(4) سورة المائدة، الآية ٩٧.

(5) اللسان، مادة حرم.

(6) نفسه، مادة حرم.

للأسماء من دلالات معنوية إلى جانب ما تستظهره هذه الأسامي من محاسن ترجع إلى تركيب الألفاظ أو معانيها"[١].

ويتّضح ممّا سبق، أنّ مثل هذه الألفاظ لها مكانة مؤثّرة في النفوس، إذ إنّ النفس الإنسانية المسلمة ترتاح إلى سماعها وذكرها.

وكان أول ظهور لهذا اللقب "خادم الحرمين الشريفين" في العصر الأيوبي، إذ أُطلق على نور الدين زنكي، كما يذكر ذلك ابن قاضي شهبة في الكواكب الدريّة في السيرة النبوية في العام ٥٣٧هـ[٢]، وأطلق على صلاح الدين في نصّ تعمير سنة ٥٨٧هـ في قبّة يوسف في بيت المقدس، إذ كانت السيادة على الحرمين تُعدُّ رمزاً لشمول النفوذ على العالم الإسلامي كلّه آنذاك، وكان صلاح الدين قد حرر بيت المقدس سنة ٥٨٧ هـ وضمّه إلى ملكه، وأمدّه ذلك بقوة دينية وسياسية، وأضفى عليه أهمية إسلامية، لم يستطع أحد أن ينازعه بها[٣]. ويستدل من ذلك أنّ الحرمين المقصودين هما مكّة والمدينة، والسيطرة عليهما، تُعدُّ سيطرة على العالم الإسلامي.

وأطلق لقب خادم الحرمين في الدولة المملوكية على سلاطين المماليك، وتلقّب به الظاهر بيبرس في نصّ تعمير سنة ٦٥٩هـ في قلعة بدمشق، وورد بصيغة (خادم الحرمين) في نص إنشائي سنة ٦٦٤هـ، وأطلق على السلطان قلاوون في نقش سنة ٦٨٣هـ، وعلى الأشرف قايتباي بصيغة (خادم حرمي الله ورسوله) في نقش سنة ٨٥٨هـ، ووردت مرادفات لهذا اللقب، منها في "ملك الجهات الحجازية"، وأطلق على

---

(١) التسمية، ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٩١، ص٤٧.

(٢) الكواكب الدريّة في السيرة النوريّة، تاريخ السلطان نور الدين زنكي، بدر الدين بن قاضي شهبة، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١، ص٥٠.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص٢٦٨.

السلطان قلاوون سنة ٦٨٧هـ، و"صاحب الأقطار الحجازية" على السلطان الأشرف سنة ٧٧٠هـ، وفي ذلك إشارة إلى سيادة المماليك على الأقطار الحجازية(١).

وأطلق لقب "خادم الحرمين الشريفين" على السلطان سليم الأول في سنة ٩٢٢هـ(٢)، وبعد احتلاله بلاد الشام حصل على لقب "حامي الحرمين الشريفين"(٣)، وذلك إشارة إلى رجحان أهميّة جانب الحماية الأمنية على جانب الخدمة.

وورد اللقب بصيغة أخرى وهي "خديم الحرمين"(٤)، و"خديم الحرمين الشريفين"(٥).

في المكاتبات الواردة عن صاحب فاس إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية. وبإطلاق هذا اللقب بهذه الصورة انتقلت الصيغة من البناء للفاعل (خادم) إلى البناء (فعيل)؛ لأنّ رتبة اللقب ترتفع نظراً لمعنى المبالغة، كما يقول القلشقندي: "**فالكفيل أعلى من الكافل؛ لأنّ صيغة فعيل أبلغ من فاعل**"(٦). فخديم على وزن فعيل قد تأتي بمعنى اسم الفاعل وفيها معنى المبالغة، وقد تأتي بمعنى اسم المفعول "مخدوم"، فكأنّ الإنسان الذي يقوم على خدمة البيت الحرام يزاد تشريفاً وتقديراً وكأنّه هو المخدوم، أو أنّ حامل اللقب خادم الحرمين وزوّارهما، ومخدوم بخدمته لهما، أو ربّما كان الأمر يتعلّق بإعادة تجديد دلالة اللفظ بعد أن تمّ تداوله فترة طويلة، فكأنّما ناله بعض بلي الألفاظ ورغب مستخدموه في تجديد بنقله إلى فعيل. وللفظة (خَديم) معانٍ يذكرها "دوزي": غُلام مملوك، وجندي، وخديمة حراثة زراعة، وخدِّيم عاميّة خِدِّيم(٧).

---

(١) الألقاب الإسلامية، ص٢٦٩

(٢) العرب والعثمانيون، ص٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٢.

(٤) صبح الأعشى، ج٨، ص٨٧، ٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص١٠١.

(٧) دوزي: مادة (خادم).

وفي العصر الحديث أحيت المملكة العربية السعودية اللقب في عهد الملك فهد، وأعلن رسمياً استبدال لقب صاحب الجلالة ليكون اللقب الرسمي "خادم الحرمين الشريفين"، وكان ذلك في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، إذ يقول الملك فهد إنّ هذا اللقب من أحب الألقاب إلى نفسه[١].

وتتداخل الدلالة السياسية، والدلالة الدينية في هذا اللقب، فقد اختار هذا اللقب التشريفي والمحبّب إلى نفوس المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وذلك لأنّ للحرمين الشريفين "مكة والمدينة" مكانة رفيعة في نفوس المسلمين، فهما من أطهر بقاع الأرض وأحبّها إلى الله ورسوله، ويأتيها المسلمون من كل بقاع العالم.

- **السَّامِي:**

جاء في صبح الأعشى: السَّامِي من الألقاب التي تلي رتبة المجلس، فيقال: المجلس السامي، وهو مستعمل في السلطانيات ويقع في درجتين "**المجلس الساميّ بالياء**"[٢]، و"**المجلس السامي بغير الياء**"[٣]. ويبدو أنّ المقصود (السَّامي) بياء واحدة هي ياء الأصل، والسَّاميّ بياء مشدّدة الثانية فيها للنسبة، فيقال: السَّاميّ.

ووردت اللفظة في الشعر الجاهلي، ووردت بمعنى الصيّاد الذي يسمو في الجبل في قول الأعشى[٤]:

فأَطلَق عَنْ مجْنُوبِها فاتَّبَعْنَـــــهُ   كما هيّج السَّامي المعسِّلُ خَشْرَمَـا

ووردت بمعنى المكانة والمنزلة العالية في قول السموأل[٥]:

---

(١) المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة الأعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ج٢١، ط١، ١٩٩٦، ص٥٦٣.

(٢) صبح الأعشى، ج٦، ص١٤١.

(٣) نفسه، ج٦، ص١٤٣.

(٤) ديوان الأعشى، ص٢٩٥.

(٥) شعر السموأل، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ص٥٥.

ومنْ نَسْلِهِ السامي أبو الفضل يوسف الـ ذي أشبع الأسباطَ قمحَ السنابلِ

والسامي من سما يسمو، وزنها (فاعل)، الأصل (سامِو) samiw انتــهت بحركــة مزدوجة هي (iw) ، ونظراً لثقلها حذفت شبه الحركة (w) وعوّض منها بإطالة الحركة (i) فصارت sami.

والأصل في الاشتقاق من السمو، وهو العلوّ والارتفاع، ومنه سموت وســميت، وعلوت وعليت، ويقال للحسيب وللشريف قد سما، وســما بصــره عــلا، والمُســاماه المفاخرة، والسَّماء كل ما ارتفع وعلا، وكل سقف سماء(١).

والسُّماةُ مثل الرُّماة، هم صيادو النهار، جمع سامٍ، والسامي هــو الــذي يلبــس جَوْربي شعر ويعدو خلف الصيد نصف النهار، ومنه (الاستِماء) وهــو أن يتجــورب الصائد لصيد الظِّباء في الحر، ويطلق على الجورب الذي يلبسه الصيّــاد ليقيــه حــرّ الرمضاء "المِسْمَاة"، إذ يخرج إلى الظّباء نصف النهار فتخرج من بيوتها ويأخذها(٢).

فالأصل الدلالي لهذه اللفظة هو "الجَوْرَب"، وهو الذي يلبسه الصيّاد في الحــرّ، فأطلقت التسمية "السُّمَاة" على الصيّادين نسبة إلى الجورب الذي يلبسه فقيل عنهم السُّمَاة، وهم يمثّلون فئة ذات منزلة عالية في المجتمع، فهم الذين يستطيعون الإتيــان بالطعــام وسط النهار، فانتقلت الدلالة من دلالة مادية مجرّدة إلى دلالة معنوية لتدل على العلــوّ والرفعة والمكانة العالية(٣).

والسامي هو أدنى تابعي اللقب الأصل (المجلس) في عصــر الممــاليك وهمــا "العالي" و"السامي"، وقد جعل الكُتّاب العالي أرفع رتبة من الســامي. وقدأُنكــر علــى

(١) اللسان، مادة سمو.

(٢) اللسان، مادة سما.

(٣) اللسان، مادة سَما.

واضعيه هذا التفاوت في المعنى؛ لأنّ السموّ من العلو، ويسوغ القلقشندي السبب في جعل العالي أرفع رتبة من السامي وإن كان بمعناه بقوله "**العالي لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام، فيكون المدح به أعمّ باعتبار من يفهمه، بخلاف السامي، فإنّه لا يفهم معنى العلوّ منه إلاّ الخاصة، فيكون المدح به أخصّ لاقتصار الخاصة على معرفته دون العامة**"(١).

ويمكن أن يُعدّ ذلك من باب التخصّص الدلالي، فالعلوّ علوّ مادي، والسموّ علو معنوي.

ووردت لفظة السامي نعتاً للمجلس في أواخر الدولة الأيوبية، ذكر ابن شيث في مراتب المخاطبين من السّلطان: "**وإذا كُتب عن السلطان إلى مَنْ دونه من ذوي الأقدار عنده (بالمجلس السامي) فلا يُزاد على ذلك ثمّ يفرد عن النسب بعد (السامي)، فيقال للأمير الأجلّ من غير ياء النسب، ولا يقال: العالي مكان السامي إلاّ أنْ يكون الكتاب من الأدنى إلى الأعلى، وقد يُجمَع بينهما لذوي الأقدار، ولا يُنعت المقام بالسامي، بل بالعالي**"(٢).

ويُستدل من ذلك أنّهم كانوا يفرقون بين السامي والعالي، فالعالي درجة أعلى من السامي، مع أنّه كان يجمع بينهما لذوي الأقدار على ما يذكر ابن شيث، ولكن نعت المقام بالعالي أعلى كما ورد في قول القلقشندي سابقاً؛ لأنّ العالي يفهمه العام والخاص بخلاف السامي.

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص٩٩.

(٢) معالم الكتابة، ص٧٣.

ويقال: المجلس السامي بالياء، والمجلس السامي بغير ياء، والأعلى أن تذكر النسبة إليه، فيقال (المجلس الساميّ)، وفي هذه الحالة تذكر الألقاب المفردة التي تتبعه في صيغة النسبة، فيقال "**المجلس السامي الأميري، الكبيري، العالمي**"(١).

وأمّا المجلس السامي بياء ساكنة، فتأتي الألقاب المفردة التي تتبعه بالصفّة المجرّدة، فيقال "**المجلس السامي، الأمير، الأجلّ، الكبير**"(٢).

والسامي بالياء هو من ألقاب أرباب السيوف(٣)، وأمّا السامي بغير الياء، فهو من ألقاب الولاة الطبلخاناه، ومن ألقاب مشايخ الصوفيّة(٤).

وورد المجلس الساميّ بالياء المشدّدة في بعض المراسيم لأمير آل مِرّا من عرب الشّام، وورد في ألقاب أمراء العرب، وعن نائب الشّام(٥).

ويلاحظ أنّهم كانوا يفرّقون دلالياً بين الاستخدام "السامي بالياء المشدّدة" والسلمي "بالياء الساكنة" بخلاف من يكتب إليهم. فالسامي بالياء المشدّدة تكتب لذوي الأقدار، وممّن لهم رتبة ومنزلة أعلى، بخلاف السامي بالياء الساكنة الذين تكون درجتهم ومنزلتهم أدنى.

ويعرض القلقشندي تحليلاً لغوياً لكلمتي "السامي" و "العالي"، إذ يقول: "**إنّ العالي والسامي اسمان منقوصان كالقاضي والوالي، وقد تقرّر في علم النحو أنّه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه إثبات الياء وحذفها فيقال: القاض والقاضي ونحو ذلك، وحينئذ يجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها، ولكنّ الكتّاب لا**

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص١٤١..

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص١٤٣.

(٣) نفسه، ج٨، ص٢٠٧.

(٤) نفسه، ج٧، ص١٨٠.

(٥) نفسه، ج٦، ص١٤٢-١٤٣.

يستعملونهما إلاّ بالياء"[1]. وقد جاء في الهمع أنّ المعرّف بأل من المنقوص تثبت فيه الياء، وفي لغة قوم يحذفون الياء منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الكَبِير المُتَعال﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ويَوْمَ التناد﴾[3]، على أنّها جارية مجرى المضاف الملاقي السّاكن، قاضي المدينة إذا وقف عليه زالت الإضافة[4]. ويقول الواسطي في شرح اللمع: **"لأنّ من العرب من يقف بلا ياء، فحذف الياء قبل دخول الألف واللام ثم أدخلها عليه، وقد وجب الحذف"**[5].

وهذا يدعم ما ذهب إليه القلقشندي في أنّه يجوز إثبات الياء أو حذفها في الاسم المنقوص المعرّف بأل التعريف.

أمّا استعمال الكتّاب لهما بالياء مع جواز الحذف، فيحتمل خوفاً من التباس "السامي" مجرّدة عن الياء "بالسام" والتي تحمل معنى آخر مغايراً تماماً للمعنى الوارد، وأمّا العالي فمن باب طرد الباب على وتيرة واحدة.

يقول القلقشندي: **"وأمّا العالي فيجوز أن تكون الياء التي يثبتها الكُتَّاب في آخره هي الياء اللاحقة للاسم المنقوص على ما تقدّم، وتكون حينئذ ساكنة، ويجوز أن تكون ياء النسب نسبة إلى العالي، وتكون مشدّدة، وكذلك السامي في الياء"**[6].

والقياس في نسبة العالي والسامي أن يقال "عالوي" و"ساموي"؛ لأنّ النسب يعيد الأشياء إلى أصولها.

---

(1) صبح الأعشى، ج5، ص496.

(2) الرعد، الآية 9.

(3) غافر، الآية 32.

(4) همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ج6، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980، ص203.

(5) شرح اللمع في النحو، ص18.

(6) صبح الأعشى، ج5، ص496.

- **السيّد:**

جاء في صبح الأعشى: "**السيّد من الألقاب السلطانية، فيقال: السلطان السيّد الأجلُّ ونحو ذلك، ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما، والسيّديّ نسبة إليه للمبالغة**"(١).

ورد لقب السيّد في الشعر الجاهلي، دالاً على التفخيم والتعظيم والتشريف، قال المهلهل بن ربيعة(٢):

سيّدُ ساداتٍ إذا ضَمّهُم   مُعْظَمُ أمْرٍ يَومَ بُؤسٍ وَضيقْ

لَمْ يكُ كالسيّدِ في قَوْمِهِ   بلْ مَلِكٌ دِينَ لَهُ بالحُقوقْ

فهو يطلق على الملك رئيس القبيلة، قال زهير بن أبي سُلمى مخاطباً هرم بن سنان والحارث بن عوف(٣):

يميناً لنعمَ السَّيدان وُجِدْتُما   على كلِّ حالٍ من سَحيل ومُبْرَمِ

وقالت الخنساء في وصف شقيقها صخر(٤):

السيّدُ الجَحْجاحُ وابنُ   السادةِ الشمِّ الجَحاجِخْ

وورد اللفظ في القرآن الكريم بمعنى الزوج، قال تعالى: ﴿وألفيا سيّدَها لَدَى الباب﴾(٥).

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص١٦.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتحقيق انطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص٥٧

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدّم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص١٠٥.

(٤) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٣٠.

(٥) سورة يوسف، الآية ٢٥.

ووصف سبحانه وتعالى سيدنا يحيى بقوله: ﴿ مُصدِّقاً بكلمةٍ مــن الله وسيِّــداً وحصــورا ﴾[1]، والسيِّد هُنا بمعنى فاق نُظراءه في الشرف والسؤدد، وقيل لأنّه يسـود سواد النّاس؛ أي عظيمهم وجُلّهم، وجمعه على (فَعَلة) شاذ قياســاً فصيـح اسـتعمالاً، والأصلُ سَوَدَه[2]. بمعنى ممتنعاً عن جماع النساء[3]، وورد بصيغة الجمع : ﴿ إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾[4]، وفي الحديث الشريف أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال "أنا سـيّد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر"[5]، ويُراد بذلك أنّه أول شفيع واتبعها بلا فخر، للدلالة على أنّه لم ينلها بنفسه ولا بقوّته، إنّما بقوة الله[6].

وورد في الحديث أيضاً أنّ "السيِّد" لقبٌ أطلقه النبي صلى الله عليه وسـلّم علـى الحسن ابن أبي طالب: "صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فقال: إنّ ابني هذا سيدٌ يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين"[7]. وفي الحديث أيضاً "الحسن والحسين سـيّدا شباب أهل الجنّة"[8]. وجاء في الحديث أيضاً: "كُلُّ بني آدم سَيِّدٌ، فالرجل سيّدُ أهل بيتـه، والمرأة سيِّدةُ أهل بيتها"[9].

والأحاديث الشريفة التي وردت فيها اللفظة كثيرة، وكلها تحمل الدلالة نفسها مـن حيث التشريف والفضل والزعامة.

---

(1) سورة آل عمران، الآية ٣٩.

(2) الدرّ المصون، ج٣، ص١٥٧، ١٥٨.

(3) تفسير الطبري، ج٣، ص٢٥٥

(4) سورة الأحزاب، الآية ٦٧.

(5) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ)، دار إحياء الـتراث العربـي، بيروت، ١٩٩٥، ج٥، ص٥٨٧.

(6) اللسان، مادة سود.

(7) سنن الترمذي، ج٥، ص٦٥٨.

(8) المصدر نفسه، ج٥، ص٦٥٦.

(9) النهاية، ٢/٤١٧.

واشتقّ اللفظ من مادة (سود)، والجمعُ (سَادَة)، نحو: قَيِّم وقَامَه، وقيل: إنّ السّادة جمع سائِد، وكذلك قَامَه وعالَه[1]. "**والسيد يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمحتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس**". "**والسيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والنفع والذي لا يغلبه غضبه**"[2].

واختلف في وزنها الصرفي على أقوال: ذهب الكوفيون إلى أنّ وزن (سيّد)، على (فَعِيل)، نحو: سويد. وذهب البصريون إلى أنّ وزنه (فَيْعِل) بكسر العين، وذهب قوم إلى أنّه على وزن (فَيْعَل) بفتح العين. أمّا الكوفيون فاحتجّوا بأن قالوا: إنّ أصله فَعِيل نحو: سويد، وهوين؛ لأنّ له نظيراً في كلام العرب بخلاف (فَيْعَل). أمّا البصريون، فقالوا: إنّما قلنا إنّ وزنه (فَيْعِل)؛ لأنّ الظاهر من بنائه هو الوزن، والتمسّك بالظاهر واجبٌ[3].

ويمكن تحليل الكلمة بكتابتها كتابة صوتية، ووصف ما جرى لها من تغيّر، فسيّد من ساد يسود، وزنها فَيْعَل، فالياء الأولى من سيّد هي زيادة، والثانية منقلبة عن واو، فالأصل سيوِد saywid ، فتشكلت حركة مزدوجة هي (wi) مسبوقة بحركة مزدوجة أخرى هي (ay) فسقطت نواة الثانية (w) وعوّض منها بإطالة الكسرة، وأُدغمت الكسرة (I) في الياء (yi) فصارت sayid.

والسيّد لقب تشريف يخاطب به الأشراف من نسل الرسول صلى الله عليه وسلّم، وأطلق حديثاً في بعض الدول على كل فرد[4].

---

(1) اللسان، مادة سود؛ تاج العروس، مادة سود.

(2) اللسان، مادة سود؛ تاج العروس، مادة سود.

(3) الانصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين بن الأنباري، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص٢٨٤.

(4) معجم الوسيط، مادة سود.

ولم يقتصر إطلاق لفظ "السيّد" على سلالة النبي صلى الله عليه وسلّم، بل أطلق على بعض الولاة والوزراء، فأطلق على أمراء بخارى، ونعت به بنو بويه، وكان لقب "السيّد الأجلّ" من ألقاب أمراء الجيش في العصر الفاطمي، ثمّ صار من ألقاب صلاح الدين(١).

واصطلح إطلاقه على أبناء علي بن أبي طالب، وكثيراً ما يتّصل به الشريف، فيقال "السيّد الشريف"، وأطلق بهذا المعنى على معاذ بن داود وهو من سلاسة علي بن أبي طالب في نص جنائزي سنة ٢٩٥هـ(٢). وأطلق لقب "السيد الرئيس" على الحسين ابن أحمد القرمطي أحد رؤساء القرامطة في نقش على دينار سنة ٣٦٢هـ(٣)؛ لأنّه يدّعي النسب العلوي(٤).

وكان يضاف اللقب إلى ضمير المتكلّم الجمع، فيقال: "سيدنا، ويخاطب به السلاطين، ورجال الدين، ممّا دفع ابن شيث في أواخر العصر الأيوبي إلى النصح بإضافة لقب (مولانا) إلى سيدنا في حالة مخاطبة السلاطين، حتى لا يلتبس برجال الدين. وفي ذلك يقول ابن شيث: **"ولا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه "بسيدنا" مكان "مولانا"، فإنّ "سيدنا" كأنّها خصصت بأرباب المراتب الدينية والديوانية، "ومولانا" تخص السلطان وحده، وإن كان ذلك مخالفاً لأهل المغرب لأنّهم يسمّون ولاة أمورهم (السادة)، وصاحب الأمر سيدنا فلان"**(٥).

---

(١) الألقاب الإسلامية، ص٣٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص٣٤٦.

(٤) تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، ط٢، مطبعة دار قريش، ١٣٨٠هـ، ص١٤٨ وما بعدها.

(٥) معالم الكتابة، ص٦٦.

وعلّق القلقشندي على كلامه بقوله: "**وكأنّ هذا كان في زمانه وإلاّ فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان (بالمولى)، يقول أحدهم مولانا فلان، وأهل مصر يطلقون السادة على أولاد الملوك**"(١).

ويلاحظ أنّ ثمّة تداخلاً دلالياً لهذا اللقب في العصر الأيوبي يبدو في الدلالة السياسية والدينية لكلمة "السيّد".

وورث سلاطين المماليك اللقب عن الأيوبيين، إذ إنّه أطلق على السلطان الملك الأشرف شعبان في نقش سنة ٧٧٠هـ(٢).

وقد دخل اللقب في تكوين كثير من الألقاب المركّبة، مثل "سيد الأكابر في العالمين"، وهو من ألقاب المقرّ الشريف(٣)، وسيد الأمراء في العالمين، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف(٤)، وسيد العلماء والحكّام(٥)، و"سيدة الخواتين من ألقاب النساء"(٦).

وورد اللقب بصيغة المؤنّث "السيدة" وهو لقب عام على النساء، وكان ينقش أحياناً على النقود، وقد ظهر اللقب على النقوش مثل لقب السيد، وأطلق على أم جعفر بنت أبي الفضل سنة ١٩٢هـ في نصّ تعمير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالطائف، وعرف في جهات مختلفة من أنحاء العالم الإسلامي، وأطلق على أم المقتدر بالله في نقش سنة ٣٠١هـ(٧).

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص٣٠٥.

(٢) الألقاب الإسلامية، ص٣٤٩.

(٣) صبح الأعشى، ج٦، ص١٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٤.

(٥) نفسه، ج٦، ص١٥٤.

(٦) نفسه، ج٦، ص١٧٢.

(٧) الألقاب الإسلامية، ص٣٥٠، ٣٥١.

وأمّا في العصر الحديث، وبعد ثورة الجيش في مصر سنة ١٩٥٢م، فقد ألغيت الألقاب المشعرة بالفوارق الطبقية مثل: الحضرة، والملك، وسمو الأمير، وظهر لقب جديد وهو "السيد"، وأطلق على المصريين كافة، وبهذا أعطي اللقب دلالة جديدة لم تكن له. واللقب "السيد" في العربية في مصر يختلف عن mister في الإنجليزية، و monsieur في الفرنسية، و Her في الألمانية؛ لأنّ هذه الألقاب تطلق على العامة من هذه الشعوب الذين لا يحملون ألقاباً مثل "lord" و "sir" وباستعمال السيد بهذا المعنى استعملت معه عبارات مثل "سيادتكم"، و "سيادة فلان"(١).

ويستعمل "السيد" لقباً في بعض الدول الإسلامية؛ كإيران، وتركيا، ويستعمل في الهند، والملايو، ويشيع استخدام "سيّدي" بالعامية (سيدي) والتي تطلق على الأولياء والأخيار، وتستخدم في مخاطبة الرؤساء تعظيماً واحتراماً، ويطلق على كبير السن والمقام(٢).

تستخدم كلمة "سِيْد" مضافة إلى الضمائر المناسبة في الأكثر بمعنى الجدّ في الأردن ومصر، ويقابل ذلك في المؤنث "سِت"، وفي بنغازي "سيدي" بمعنى "عمي"، ويستعمل في بعض الدول العربية مختصر "سيدي" هو "سي"، وسي أكثر ما تستعمل في مخاطبة الشباب(٣).

وشاع في معظم البلاد العربية التمييز بين المتزوجة والبكر، فتلقّب الأولى "السيدة"، والثانية "الآنسة"، ويقال اختصاراً للسيدة "ست"، ولسيدتنا "ستنا"(٤).

---

(١) اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، محمود السعران، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٣، ص٧٨، ٧٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٨٥، ٨٦.
(٣) نفسه، ص٨٦، ٨٧.
(٤) اللغة والمجمع، مرجع سابق، ص٨٧.

ويبدو أنّ التحوّل من سيدة إلى ست، ومن سيدتنا إلى ستنا، جاء نتيجة مماثلة تقدّمية يمكن توضيحها على النحو الآتي: فسيدةٌ بالتأنيث sayydatun وبإضافة ياء المتكلّم sayydaty ، إذ حصل مماثلة تقدّمية أثّر فيها صوت التاء في صوت الدال فتغيّرت، وأدغمت في التاء، فأصبحت (sitty)، ويلاحظ سقوط الياء، وكأنّ أصل اللفظ "ستّ" sittun، وسقوط الأصوات هنا للتخفيف نظراً لكثرة الاستعمال. فالمماثلة، هي تأثير الصوت بالصوت الذي يليه، أو الذي قبله، تأثّراً يجعله مثله أو قريباً منه في الصّفة أو المخرج، تحقيقاً للانسجام الصوتي في الألفاظ والكلام وتوفيراً للجهد العضلي الذي يبذله الإنسان أثناء النطق[1].

والسيد لفظة تحمل معنى السيادة والرفعة الاجتماعية، يرى حسين خريوش، أنها تكاد تنحصر في الديار المصرية، ولعلّها منقولة عن المصرية القديمة في لفظة "النبي" "بمعنى الرسول"، فاللفظ مركّب من لفظين "نب وي" ومعناها رئيس البيت، أو شيخ العائلة[2]. ويبدو أنّها عربيّة الأصل من نبا ينبو فهو نبيّ.

ويستعمل اللقب الآن بصيغة المفرد، وصيغة المثنّى، وصيغة الجمع، ويستخدم في مخاطبة رؤساء الدول، فيقال: السيد الرئيس، أو سيادة الرئيس كما في مصر وسوريا، ويخاطب به العامّة مضاف إلى "حضرة" أو مجرّداً عنها "السيد فلان"، وهذا الاستخدام بتأثيرٍ من الظروف النفسية والاجتماعية على اللغة، و"حضرة السيد". وما تزال الدلالة مستعملة في مخاطبة جلالة الملك، فيقال "سيدي صاحب الجلالة"، و"سيدي حضرة صاحب الجلالة"، ويمكن أن تكون مرادفة لكلمة (مولاي).

---

(1) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي الخليل، ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٣، ص١٢٣.

(2) التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، ص٥١.

وأحياناً يستعمل لفظ "السيد" في مجال السخرية كقولنا "عمل هذا السيد فلان"، ويتّضح ممّا سبق أنّ الدلالة التي يحملها اللفظ فيها معنى التعظيم والتشريف والتفضّل، فقد دلّ على صفة وعلى مرتبة عالية، وظهر منه التخصيص الدلالي ليدلّ على الأشراف، ومن ثمّ التعميم الدلالي ليدل على عامة الناس في الدول العربية ومنها الأردن.

- **الشَّريف:**

جاء في صبح الأعشى: "**الشريف هو فعيل من الشرف، وهو العلوّ والرفعة، وهو من ألقاب المقرّ والجناب، ويقال: المقرّ الشريف، والجناب الشريف، وهو مختصّ بالأشراف أبناء فاطمة من علي رضي الله**"[1].

ووردت اللفظة في الشعر الجاهلي للدلالة على المكان العالي المرتفع، قال لبيد[2]:

وما كادَ غُلاّن الشُّرَيْفِ يَسَعْقَنهُم ... بحلّة يَوْمٍ والشُّرُوجُ القَوَابِلُ

وورد اللفظ مصغّراً "الشُّرَيِّف" للدلالة على وادٍ بخيبر في قول طرفة[3]:

لهندٍ بحزّان الشُّرَيف طلُولٌ ... تَلوحُ وأدْنى عَهْدِهُنّ مُحيلُ

ووردت بمعنى التفوّق في الشرف في قول الخنساء[4]:

فَلَو أنّ المنونَ تَعْدِلُ فينا ... فَتَنالُ الشريفَ والمشروفا

([1]) صبح الأعشى، ج٦، ص١٧.

([2]) شرح ديوان لبيد، ص٢٦٥.

([3]) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق دريّة الخطيب، ولطفي الصقال، ١٩٧٥، ص٨١.

([4]) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٦٩.

فالشريف والمشروف صفة لموصوف محذوف. ولم ترد لفظة "الشريف" في القرآن الكريم ولا اشتقاقاتها، ولكنّها استعملت في وصف آيات القرآن، فقيل أشرف آية في القرآن آية الكرسي(١).

وفي الحديث الشريف، أُطلقت اللفظة على الشخص ذي المكانة والجاه، قال صلى الله عليه وسلّم: "إنّما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم أنّهُم كانوا يقيمون الحدّ على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده، لو فاطمة فعلت ذلك لقطعتُ يدها"(٢). والشريف على زنة (فَعِيل) صفة مشبّهة من شَرُفَ، فهو شريف، والجمع أشراف وشرفاء، مثل يتيم وأيتام(٣).

ويدور الأصل للفظ حول العلو والارتفاع، فالشرف العلو والمكان العالي، ومشارف الأرض أعاليها، والشريف كل ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله، والشرف من البعير سنامه، والشرفة التي تشرف بها القصور، ودلّت الشريف على القِدَم والكِبَر(٤).

وفي معجم (دوزي) الشرف: المديح والحمد، وعند المنجّمين، يطلق على ارتفاع الكوكب، "**ويقول المنجّمون إنّ الكوكب في شرف إذا احتلّ دائرة الفلك موضعاً يستطيع أن يؤثّر كل تأثيره**"، والشريف: الثوب والرداء(٥).

---

(١) اللسان، مادة شرف.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص١٦.

(٣) اللسان، مادة شرف؛ تاج العروس، مادة شرف.

(٤) اللسان، مادة شرف.

(٥) دوزي، مادة شرف، ج٧، ص٢٩٦.

فدلالة الكلمة كانت ماديّة ثم انتقلت إلى الدلالة المعنويـــة، فالشــرف: الحســب بالأباء، والشرف المجد لا يكون إلاّ بالآباء، ويقال رجل شريف، **ورجل ماجد له آبـــاء متقدّمون في الشرف، والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباءٌ لهم شرف""**[1].

فمدلول هذه الكلمة والتي تحتوي على مجموعة صفات بعضها بالنسب وبعضـــها بالحسب تجعل الإنسان في منزلة أعلى من غيره، فالشرف والمجد لا يكون إلاّ بالآبـــاء أو علو الحسب.

ظهر لقب الأشراف في العصر العباسي سنة ٣٥٨هـــ، وأسس الأشـــراف مـــن الفرع الحسني والحسيني إمارة في مكة، وإمارة في المدينة[٢]، ويطلق على الأشـــراف أحياناً اسم "العلويين" نسبة لعلي، وهم كل من تحدّر من سلالة النبي صلى الله عليه وسلّم من أبناء الحسن أو الحسين أبناء علي بن أبي من أمّهم فاطمة[٣].

وعدّ المؤرّخون لقب الشريف، أول ما أطلق على العلويين في مصر[٤]، وصـــار لقباً عاماً على كل عبّاسي في بغداد، وكل علوي بمصر[٥]، وكان العباسيون والعلويـــون يخضعون جميعاً لنقيب واحد، حتى القرن الرابع، وفي أواخر القرن الرابع صار لكـــل فريق نقيب خاص[٦]. وفي الأندلس أطلق الشريف على الأموي أيضاً[٧]، واستمرّ اللقـــب

---

(١) اللسان، مادة شرف.

(٢) تاريخ مكّة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمـــران، ط٢، دار قريـــش، مكّـــة، ١٣٨٠هـــ، ص١٧٠ وما بعدها.

(٣) معجم العالم الإسلامي، مادة شريف.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شريف.

(٥) نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد زينهم، ومحمد عزت، دار الجيل، بـــيروت، ١٩٩٠، ص١٧٩.

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتـــاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٨٠، ٢٨١.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٩٢.

سمة في مصر على أبناء فاطمة في عهد الأيوبيين وعصر المماليك(١)، واستعمل اللفظ في عصر المماليك كصفة تشير إلى القداسة أو الملكية، فيقال "المصحف الشريف" و"العلم الشريف"، و"الحرم الشريف" و "القدس الشريف"(٢).

والشريف كما يقول القلقشندي جعله الكتّاب أعلى رتبة من الكريم لماورد عن ابن السكيت، أنّ الكريم يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء، والشرف لا يكون إلاّ لمن له آباء شرفاء، ومعنى ذلك أنّ تفضيل الشريف على الكريم لاشتماله الفضل في نفس الشخص وفي آبائه بخلاف الكريم، ولذا اختير الشرف لأبناء فاطمة رضي الله عنها دون الكرم(٣).

يرد المصطلح في سلسلة الألقاب المفتتحة بالمقام والمقرّ والجناب(٤). واستعمل لقب الشريف لما يضاف إلى السلطان من أنواع المكاتبات، فقيل "عهد شريف"، و"تقليد شريف"، و"توقيع شريف"، و"مرسوم شريف"(٥).

وما يقال في "الشريف" يقال في "السيد" وقد أطلقت التسمية بالشريف في كثير من البلاد الإسلامية على أبناء الحسن والحسين وحدهم، وفي حضرموت لقبهم الجاري هو "السيد"، وفي الحجاز كانت العادة أن يسمى " بالشريف" أبناء الحسن وحدهم الذين كان أجدادهم حكام مكة، وكان اسم "السيد" يطلق على أبناء الحسين فقط، ويخاطب في مكة "الشريف الأكبر" بقولهم "سيدنا"(٦).

---

(١) الألقاب الإسلامية، ص٣٥٨.

(٢) صبح الأعشى، ج٦، ص١٨٦، ١٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٩٨، ٩٩.

(٤) نفسه، ج٦، ص١٥٥.

(٥) نفسه، ج٦، ص١٨٧.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شريف.

وأطلق اللفظ على الشريف الحسين بن علي طيّب الله ثراه لكونه من سلالة أبناء علي بن أبي طالب، وأحيي اللقب مجدّداً في العام ١٩٩٢، إذ تلقّب بـه جلالـة الملك الحسين بن طلال رحمه الله بعد أزمة الخليج.

ويلاحظ ممّا سبق الاستقرار الدلالي لهذه اللفظة، فالدلالة الأصلية لها دلالة مادية، ثمّ انتقلت للوصف كدلالة معنوية، ثمّ خصصت هذه اللفظة للدلالة على نسـل الحسن والسادة للدلالة على نسل الحسين، واستمرارها للدلالة على ما هو عالٍ، وذي المكانة والجاه، وحدث توسّع في استعمالها، وهذا التوسّع لم يحطّ من قدرهـا، إنما زاد من قيمتها، فأصبحت تضاف تشريفاً إلى كثير من الألفاظ، كالحرم، والقدس، والمصحف، وغيرها.

وأصبح للفظ مدلول آخر، وهو ما يتعلّق بالطهارة والعفّة، فيقال: فلان شريف، وفلانة شريفة، وهي أسمى ما يمكن أن يتحلّى به الإنسان.

- الأفْخَم:

جاء في صبح الأعشى "**الأفْخَم من ألقاب ملوك المغرب، وهو أفعل التفضيل من الفخامة،، وهي العظمة والقوة**"[١]. ووردت بصيغة اسم المفعول "المفخًّم"، وهـو مـن ألقاب ملوك المغرب"[٢]، وورد اللفظ في الشعر الجاهلي بصيغة المصدر "فخـم"، قـال عمرو بن قميئة[٣]:

ومَلْمومةٌ لا يخرُقُ الطَّرْفُ عَرْضَها لها كوكبٌ فخمٌ شديدٌ وضُوحُهـا

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٩.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٦٥، ص٣٢.

وقال نابعة بن شيبان(1):

لها وجه كصحن البدر فخـــــــمٌ   ومُنْسَجِرٌ على المَتْنينِ سُــــــــودُ

فوردت بمعنى الفَخَامة في الوجه، والامتلاء مع الجمال والمهابة.

وورد في شعر صدر الإسلام، قال حسّان(2):

ورثنا سناءً منه مبرزاً ومَحتِـــــــدًا   مُنيفَ الذُّرَى فخمَ الأرومَةِ يُذْكَرُ

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ولا أي من اشتقاقاته، وروي في الحديـــث "أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان فخماً مفخَّماً"(3)، ولم تكن الضخامة في جسمه وإنّما فـــي وجهه، ويُعنى بها نبله وامتلاؤه مع الجمال والمهابة(4).

واشتقّ اللفظ من مادة (فَخُمَ)، على وزن (فَعُل) وهي صفة مشبّهة، فالفاء والخـــاء والميم أصل صحيح يدلّ على جزالة وعظم(5)، وفَخُم الرجل فخامة؛ أي ضَخُم، ورجـــلٌ فاخمٌ؛ أي عظيم القدر(6). فالفخامة جمعت بين صفتين، الصفة المادية من حيث الامتـــلاء والضخامة، والصفة المعنوية من حيث النبل والشرف والعظمة. فالفخامة فـــي الوجـــه النبل والامتلاء، ورجل فخم كثير لحم الوجنتين. والتفخيم في الحروف، ضدّ الإمالـــة، والفيخمان: **"الرئيس المعظم الذي يصدر عن رأيه ولا يقطع أمر دونه"**(7).

---

(1) ديوان النابغة الشيباني، تحقيق عبد الكريم إبراهيم يعقوب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٧، ط١، ص٩٦.

(2) ديوان حسّان بن ثابت، ص٣٨٧.

(3) مَجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين بن علي الهيثمي، (ت٨٠٧هـــ)، مؤسســة المعـــارف، بيروت، ١٩٨٦، ج٨، ص٢٧٦.

(4) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٧٨.

(5) معجم مقاييس اللغة، مادة فخم.

(6) اللسان، مادة فخم.

(7) اللسان، مادة فخم.

وجاء في دوزي، أنّ (فَخُمَ) تطلق على فخامة البـــلاط الملكـــي، أي ضخامتـــه وعظمته.[1]. ويلاحظ من الاشتقاقات السابقة أنها جميعها تدور حول معنى واحد وهـــو العظم، وقد جرى الانتقال الدلالي لهذه اللفظة من المجال الحسّي الماديّ، وهي ضخامـــة الجسم إلى المجال المعنوي للتعبير عن عظم الملك.

ووردت اللفظة بصيغة اسم التفضيل "الأفخم"، و"اســـم التفضيـــل" هـــو **"الاســـم المصوغ من المصدر للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخـــر في تلك الصفة، وقياسه أن يأتي على أفْعَل"**[2].

ومع أنّ القلقشندي أورد اللفظة بصيغة أخرى وهي صيغةِ اسم المفعول "المفخم"، إلاّ أنّه يقر أنّ هناك تفاوتاً عاماً بين الألقاب التوابع بناءً على صيغة اللقب، فاللقب الذي يأتي على صيغة التفضيل أرفع من الذي يأتي في الصيغة العادية؛ لأنّه يحمل مع دلالته المعجمية دلالة أفعل التي تدلّ على التفضيل، **"فالأشرف أرفع من الشـــريف، والأكـــبر أرفع من الكبير"**[3]. وهو يفضّل صيغة اسم التفضيل على أي من الصيغ الأخرى.

ويرى حسين خريوش " **أنّ صيغة اسم التفضيل تقتضي أنّ صاحبها هو الأفضـــل والأوحد على الاستمرار، والفرق بينها وبين الصيغ الأخرى أنّ هـــذه الصيغـــة فـــي التسمية تفيض بما يملأ النفس تميّزاً وتفضيلاً، وهي تبعث في النفـــس ذلـــك التـــأثير بالأفضلية"**[4].

وتستخدم اللفظة في العصر الحديث، وشاع أن يستخدم فَخَامَة مصدر الفعل (فَخُمَ) مضافاً إلى "صاحب"، فيقال: صاحب الفَخَامة، أو مضافاً إلى الرئيس، فيقـــال: فخامـــة

([1]) دوزي، مادة فخم، ج٨، ص٢٦-٢٧.

([2]) شذا العرف، ص٨٩.

([3]) صبح الأعشى، ج٩، ص٩٨؛ ج٥، ص٤٩٣.

([4]) التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، ص٧٣.

الرئيس. ويبدو أنّ المعاصرين اتّجهوا إلى استخدام صاحب الفخامة لمجاراة صاحب الجلالة، وصاحب السيادة، فيقال: "جلالة الملك"، و"سيادة الرئيس" أو أنّ المعاصرين يرغبون في إعادة صقل اللفظة بتغيير هيأتها، وفضلاً عن هذا، فإنّ الوصف بالمصدر فيه مبالغة، فقد عري من الزمن والذي يلحق "الفعل"، وعري من المفاضلة التي تفهم من اسم التفضيل، فصاحب الفخامة مضاف ومضاف إليه، وكأنّها ملك لصاحبها لا تفارقه.

وانتقال اللفظة إلى المصدرية لا بدّ وأن يحمل دلالة، وفي ذلك يقول حسين خريوش: " **فاللجوء إلى التسمية بالمصدر ينطوي على أجواء نفسانية معيّنة، إذ إنّ تقوية الكلام بالتأكيد المصدري هو من علامات الحقيقة**"(١). ويفهم من ذلك أنّ التسمية بالمصدر فيها تأكيد ومعنى أبلغ من التسمية بأيّة صيغة من صيغ الاشتقاق الأخرى.

وأورد القلقشندي الصيغة المؤنّثة "المفخّمة" من ألقاب ملوك الكفر، ويورد صورتها بقوله "**الملكة، الجليلة، المكرمة، المبجلة، المفخمة**"(٢).

ويقابلها في الاستخدام المعاصر "الملكة المعظمة".

ويلاحظ التغيّر الدلالي في الاستخدام لهذه اللفظة، إذ انتقلت دلالتها من مخاطبة الملوك كما كان سابقاً إلى مخاطبة رؤساء الدول في الوقت الحالي، ولم يعد لها أي ارتباط بالملوك؛ لأنّها سدّت مسدّها جلالة.

وتستخدم في العصر الحالي بصيغة اسم التفضيل "الأفخم" في مخاطبة رؤساء الحكومات في الأردن وبعض الدول العربية، فيقال "**دولة الرئيس الأفخم، واستخدمت في مخاطبة الوزراء، فيقال فَخَامة الوَزِير**"(٣)، واستخدمها جلالة الملك عبد الله الأول في مخاطبته للمندوب السامي(١)، "فخامة المندوب السامي"، وفي مخاطبته لرئيس

---

(١) التسمية وماهيتها وفلسفتها، ص٥٢.

(٢) صبح الأعشى، ج٦، ص١٧٩.

(٣) مذكرات الملك عبد الله، نشر أمين أبو الشعر، ١٩٦٥، ص٢٥٨.

مخاطبته للمندوب السامي[1]، "فخامة المندوب السامي"، وفي مخاطبته لرئيس الديـــوان الملكي "**سماحة رئيس الديوان الملكي العالي الأفخم**"[2].

وممّا يلاحظ الآن ورود الصيغتين "صيغة اسم التفضيـــل (بـــالأفخم)، وصيغـــة المصدر (فخامة) في الاستخدام، فالأفخم تستخدم في مخاطبة رؤساء الحكومات، وتـــأتي صفة قبل الموصوف في نهاية اللقب، فيقال دولة الرئيس الأفخم، والفخامة لأنّها مصـــدر تأتي في مخاطبة رؤساء الدول وتكون في بداية اللقب (فخامة الرئيس). ثمّ يذكر اســـمه المجرّد واسم عائلته، كما هو مستخدم في سوريا ولبنان. ويلاحظ أيضاً أنها أصبحـــت تطلق على كل ما فيه عظمة أو مبالغة أو مصدر إعجاب، حتى في الأشـــياء الماديـــة، فنقول مثلاً: بناءٌ فخمٌ، وعمارة فخمة، وسيارة فخمة.

- المُعَظَّم:

جاء في صبح الأعشى: المعظّم اسم مفعول من العَظَمَة، وهي الجلالة، وهو مـــن ألقاب الملوك، وقد تلقّب به ملوك المغرب، واستعمل في ألقاب ملوك الكفر[3].

وردت اللفظة في الشعر الجاهلي بمعنى الافتخار والاعتزاز بالقوة والفروســـية، قال عامر بن الطفيل[4]:

فأنَا المُعَظّمُ وابنُ فارسِ قُـــرْزُلِ   وأبو بَراءٍ زَانني ونمانِـــــــــي

وورد الاشتقاق "عظيم" للدلالة على القدرة والمكانة العالية في قول عنترة بن شداد[5]:

---

(1) مذكرات الملك عبد الله، ص١٧١.

(2) الوثائق الهاشمية، أوراق عبد الله بن الحسين، المجلد الأول، إعداد وتحرير محمد عدنان البخيت، ورنـــدة نصري، منشورات جامعة آل البيت، الشركة العربية الأردنية للصحافة والنشر، ١٩٩٣، ص٢٨.

(3) صبح الأعشى، ج٦، ص٢٩.

(4) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر الأنباري، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار كنان، دمشق، ص٢٠٦.

(5) شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص٤٢.

ولَوْلا سيِّدٌ فينا مُطـــــاعٌ عظيمُ القَدْرِ مُرْتَفِعُ العِمـــادِ

ووردت المادة التي اشتقّ منها اللفظ في القرآن الكريم وعلى وزن فعيل "عظيـم" في آياتٍ كثيرة، إذ وصف الله تعالى العظيم في قوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهـو العليّ العظيم﴾[1]، ووصف عذابه بالعظيم ﴿وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ [2]، والفوز العظيـم ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[3]، ووردت بصيغة اسم التفضيل "أعظـم" ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾[4].

ووردت في الحديث الشريف بصيغة "عظيم" في مخاطبة النبي صلى الله عليـه وسلّم لهرقل ملك الروم في كتابه صلى الله عليه وسلّم الذي بعث به دحية الكلبي إلـى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل "عظيم الروم"[5]. وورد اللفظ بصيغة "عظيم" أيضاً في رسـائل النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القِبْط[6]، وإلى كسرى عظيم فارس[7]، وإلى النجاشي عظيم الحبشة[8].

واشتقّ اللفظ من مادة (عَظُمَ)، وهي صفة مشبّهة على زنة (فَعُل) إذ العين والطاء والميم أصل واحد يدلّ على كبر وقوة، ومن الباب (العظم) سمي بذلك لقوّته وشـدّته[9]، وعرفت هذه المادة في بعض اللغات الساميّة، فهي (عصْمتو) في الأشـوري البـابلي،

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(2) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(3) سورة التوبة، الآية ٧٢.

(4) سورة الحديد، الآية ١٠.

(5) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي ، ص٦.

(6) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميـد الله ، ط٤، دار النفـائس، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٥.

(7) المرجع نفسه، ص١٤٠.

(8) المرجع نفسه، ص١٠١

(9) معجم مقاييس اللغة، مادة عظم.

و(عيصم) في العبري، و(عطما) في الأرامي، و(عظم) في لغات جنوب الجزيرة والحبشة[١]، وعلى الرغم من وجود حالات إبدال من حروفها في هذه اللغات إلاّ أنّ الأصل الثلاثي لها واحد.

والعظيم خلاف الصغير، وعَظْمَةُ الذراع مُستغلَظها، والعَظَمَة من الساعد ما يلي المرفق الذي فيه العضلة، والعظم الذي عليه اللحم، قال تعالى: (فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظامَاً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمَاً) [٢]، وعَظْمُ الفدان، لوحه العريض الذي في رأسه الحديد الذي تشقّ بها الأرض. والتعظيم التبجيل، وعَظَمات القوم سادتهم وذو شرفهم[٣]، وفي دوزي العظمة: الكرامة، والشرف. واللقب الذي يطلق على الشريف ذي المكانة، والفخم والجليل[٤].

ومن ملاحظتنا لمعاني (عَظُمَ) في الاشتقاقات السابقة، نجد أنّها تدور حول أصل واحد، وتعني القوة والكبر والشدة، ومنه العظم الذي عرف بذلك لقوّته وشدّته، ثمّ انتقلت دلالة الكلمة لتشير إلى بناء آخر، في مخاطبة الملوك والسلاطين وذوي الجاه لتعبّر عن مركزهم وقوّتهم. فالمعظّم من يكون له مجد يسير به من الحاضر إلى المستقبل، وتطلق في الوقت الحاضر على الملك المعظّم، والسلطان المعظّم، متصلة بها أل التعريف.

والغالب ألاّ يستخدم منها المصدر أو اسم التفضيل مثل "فخامة، أفخم"، فالمعظم الأصل منه "عَظَّمَ"، ثمّ شدّد حرف الظاء ، وبالتشديد التأكيد على التبجيل، ثمّ اشتقّ منه

(١) الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠، ص١٩٢؛ وانظر تاريخ اللغات السامية، ص٢٥٠؛ وانظر بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، علي رؤوف سيد مرسي، ط١، ١٩٨٨، مطبوعات جامعة الكويت، ص١٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٣) اللسان، مادة (عظم).

(٤) دوزي، مادة (عظم)، ج٧، ص٢٤١.

اسم المفعول "المُعَظَّم" للدلالة على التوقير والاحترام، وكان اشتقاقه بزيادة الميم، وتشديد الظّاء.

فالميم صوت شفوي أنفي مجهور، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرخاوة ذات القوة الإسماعية العالية، تزاد في أول الوحدة اللغوية شريطة أن يأتي بعدها ثلاثة من الأصوات الأصلية في البناء، وتكاد تشمل نسبة عالية من الموروث الصّيغي في العربية ومنها اسم المفعول(١). فالزيادة في بنية الكلمة تؤدّي إلى زيادة في المعنى، وطول الكلمة أو قصرها في الأصوات قد توحي بمعنى خاص. يقول إبراهيم أنيس:" **لله درّ القدماء من علماء العربية حين قرروا قاعدتهم المشهورة، زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى، وبرهنوا عليها في كتبهم بظواهر لغوية كثيرة منها: أنّ تضعيف عين الفعل قد يعبّر عن المبالغة في الحديث، ونلحظ هذا في (كَسَر، كسَّر) وغير ذلك من كلمات كثيرة زيد في مبناها للمبالغة في معناها**"(٢). ويبدو أنّ في هذا التشديد مبالغة.

وأطلق لقب السلطان الأعظم على كثير من الأسر مثل سلاطين غزنة، حيث أطلق على محمود الغزنوي في نص سنة ٤٢١هـ، وأطلق على السلاجقة لقب السلطان المعظّم على ألب أرسلان في نقش سنة ٤٥٩هـ(٣)، وأطلق لقب "المعظّم" على ملوك الفرنج زمن الدولة الأيوبية، حيث كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى بردويل أحد ملوك الفرنج: "**خص الله الملك المعظّم**"(٤).

---

(١) علم الصرف الصوتي، ص٨٥.

(٢) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط٥، ١٩٧٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٤٨.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص٣٣٠.

(٤) صبح الأعشى، ج٧، ص١١٥.

وعند دوزي، المقام: رتبة ومنصب، والمقام: السلطة والسيادة والرئاسة والتشريف، ولقب يطلق على السلاطين والملوك[١]. ويمكن أن تكون مصدراً ميمياً أو مقام الملك العالي.

والاشتقاقات كلّها تعود إلى المعنى الأصلي وهو الثبات والاستقرار في مكان ما، ومن المعنى الأصلي جاءت الدلالة المعنوية لتدل على القيمة المعنوية للحاكم[٢]. والمَقام من مصطلحات الموسيقا وهو درجة الصوت، ومقام الصوت درجة ارتفاع الصوت في اللحن، ومقام الميت الضريح[٣].

وفرّق بين المُقام بالضمّ، والمَقام بالفتح، فقيل "بضم الميم يكون مصدراً من أقام يقيم؛ أي لا إقامة أو موضعاً يقيمون فيه، ومن فتح فهو اسم مكان أي لا موضع لكم تقيمون فيه[٤]. ويمكن أن تكون اللفظتان مصدراً ميمياً

وقرئ "يا أهل يثرب لا مُقام لكم" بالفتح والضمّ على المعنيين، قال الجوهري[٥]: وقد يكون المَقام بالفتح بمعنى الإقامة، والمُقام بالضمّ بمعنى موضع القيام وجعل من الثاني قوله تعالى ﴿حَسُنَت مُستقراً ومُقاما﴾[٦]، أي موضعاً.

والذي يستعمله الكُتّاب في "المَقام" بالفتح خاصة، كما يقول القلقشندي، يكنّون بذلك السلطان تعظيماً له عن التفوّه باسمه، فيقال "المقام العالي" و"المقام الشريف"[٧].

---

(١) دوزي، مادة قوم، ج٨، ص٤٢٥.
(٢) المرجع نفسه، مادة قوم.
(٣) نفسه، مادة قوم.
(٤) تفسير القرطبي، ج١٤، ص١٤٨.
(٥) الصحاح، مادة قوم.
(٦) سورة الفرقان، الآية ٧٦.
(٧) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٩٤.

وكان يطلق اللقب المقام على الخليفة بصيغة الجمع "المقامات الشريفة"، وقد جاء ذلك إثر احتجاب الخلفاء في عصر بني بويه الذين استبدّوا بالسلطة، وأسندوا أمر المكاتبات إلى وزرائهم الذين حرصوا على الإشارة إليهم بالكنايات المكانية[1].

ويورد القلقشندي قولاً لصاحب ذخيرة الكتاب ابن حاجب النعمان، ينتقد فيه هذا التحول "**وليت شعري أي شيء قصد من كنّى أمير المؤمنين بهذه الكنايات، وبدّل نعوته وصفاته المُعَظّمة المكرّمة بهذه الألفاظ المحقّرات**"، ويقول "**كيف يجوز أن يُكنّى عن الجمادات، بما يكنّى به عن الإنسان الحيّ، الناطق الكامل الصفات**"[2]. ويشير إلى أنّ هذه التسميات لم تُعرف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم ولا في عهد الصحابة من بعده[3].

وأقدم الأمثلة لاستعمال اللقب بصيغة الإفراد "المقَام"، جاءت في العصر الفاطمي، فقد أطلق ابن الصيرفي في كتابه الإشارة على الوزير الفاطمي أبي عبد الله محمد بن نور الدولة لقب المقام الأعظم[4].

واستعمل لقب "المقَام" في عصر صلاح الدين، فقد كتب القاضي الفاضل رسالة تهنئة إلى السلطان، بمولود له جاء فيها "**المملوك يقبل الأرض بالمَقَام العالي الناصري**"[5]. وظلّ اللقب محتفظاً بمنزلته في الدلالة على السلطان حتى عصر المماليك؛ إذ أُطلق لقب "المقَام العالي" على الظاهر بيبرس في التقليد عن الخليفة بالسلطنة[6].

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٩١.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٩٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٩٢.
(٤) الألقاب الإسلامية، ص٤٨٢.
(٥) صبح الأعشى، ج٧، ص٩٠.
(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٧٢٦.

وورد اللفظ دلالة على المكان في الشعر الجاهلي، قال قيس بن الخَطِيم[1]:

وإنْ ضَيَّع الإخوانُ سِـرّاً فإنّـي كتومٌ لأسرارِ العشيرِ أميـنُ

يكونُ لَهُ عِنْدي إذا ما ضمنتُـه مَقَرٌّ بسوداء الفؤادِ كَنيـنُ

وقال عامر بن الطفيل[2]:

تَرْعَى فزارةُ في مَقرٍّ بلادِهـا وتَهيمُ بينَ شقائقٍ ورمـالِ

ومن الاشتقاقات لهذه المادة التي وردت في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وقَـرْنَ في بُيُوتِكُنّ ولا تَبَرَّجْنَّ تبرّجَ الجاهليّة الأولى﴾ [3] بمعنى الاستقرار،﴿ولَكِنْ انْظُـرْ إلـى الجَبَلِ، فإنْ استقرّ مكانَهُ فَسَوْفَ تَراني﴾ [4] بمعنى الثبات،﴿وقالت امرأةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْـنٍ لي ولَك﴾ [5] بمعنى الاطمئنان والسكون. فجميع المعاني التي وردت في الآيات الكريمـة السابقة وغيرها من آيات تحمل معنى الاستقرار وسكون النفس والاطمئنان.

وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن العزل، أنّ النبي صلى الله عليـه وسلم، سُئل عن ذلك فقال: أنت تخلُقُه أنت ترزقُه أقِرَّه قرارَه أو مقرَّه فإنّما هو القدر"[6]. وفي رواية أخرى "أنت ترزقُه فأقرِرْه مَقَرَّه، فإنّما كان قَدَرٌ"[7].

واشتقّ اللفظ من مادة (قرر) وتأتي على معانٍ متعدّدة، فـالقرُّ: الـبرد. والقـرُّ: القرار في المكان، والقرار "**المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء، ويوم القرّ هو اليوم**

([1]) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٦٧، ص١٦٣، ١٦٤.
([2]) ديوان عامر بن الطفيل، ص٨٢.
([3]) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
([4]) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.
([5]) سورة القصص، الآية ٩.
([6]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ج٣، ص٧٨.
([7]) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٦.

الذي يلي عيد النحر، سُمّي بذلك لأنّ الناس يقرون فيه، ومقرّ الرحم آخرها، ومقرّ الثوب طيٌّ كسرهِ"[1]، والمقرُّ موضع وسط كاظمة به قبر غالب أبي الفرزدق، قال الراعي النميري[2]:

فَصَبَّحن المقرّ وهُنَّ خُوصٌ   على روحٍ يُقَلِّبْنَ المَحَارا

وقيلْ: المقَرّ جبل لبني تميم[3]. وفي دوزي: "المقر" لقب يطلق على السادة، مثل: سمو، وسعادة[4]. ويستدل من الاشتقاقات السابقة أنّ المعنى العام الذي تدور حوله هذه اللفظة هو الاستقرار والسكون، ويلاحظ الانتقال الدلالي لهذه اللفظة من دلالة للمكان إلى دلالة معنوية لقباً تفخيمياً يخاطب به الملوك والسلاطين؛ لأنّ الذي يتوجّه إليهم بحاجته، أو يجالسهم، فإنّه يشعر بالاستقرار والاطمئنان.

وأقدم إشارة للفظ "المقرّ" لقباً، هي التي يوردها ابن شيث في معالم الكتابة: "والذي يخاطب به السلطان المقام، والمقرّ الأشرف"[5]، إذ استعير "المقَرّ" في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المقام تعظيماً عن التفوّه باسمه كما في المقام. ويعلّق القلقشندي على ما ذكره ابن شيث بقوله: "**جعله ابن شيث من الألقاب الملوكية كالمقام، وجعلهما على حد واحد، وأصله في اللغة لموضع الاستقرار والمراد الموضع الذي يستقر فيه صاحب ذلك اللقب، وهو من الخاص الذي استعمل في العموم، إذ يجوز أن يقال فلان**

---

(1) اللسان، مادة (قرر).

(2) ديوان الراعي النميري، جمع وحقّقه داينهرت فاييرت، إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار النشر: فرانتس شتايز بقيسبادن، بيروت، ١٩٨٠، ص١٤٦.

(3) اللسان، مادة (قرر).

(4) دوزي، مادة (قرر)، ج٨، ص٢١٠.

(5) معالم الكتابة، ص٥٨.

مقرّه محلة كذا، وبلده كذا، كما يقال: مقامه محلة كذا، وبلد كـــذا"[1]. ولكـــن المحــل للعامة، والمقرّ للخاصة، وكأنّها تسعى إلى التخصيص الدلالي.

وظلّ اللقب من اختصاص السلطان حتى أواخر القرن السابع، فقد أطلـــق لقـــب "المقرّ العالي" على المنصور قلاوون في العهد إليه بالسلطنة سنة ٦٧٨هـــ، وكان ذلـــك من إنشاء القاضي محيي الدين عبد الظاهر[2].

وممّا له دلالته، أنّ الأمثلة المعروفة لاستعمال لقب "المقر" لسلاطين الممـــاليك لا تعدو مثلاً واحداً، وهو استعماله في العهد إلى المنصور قلاوون[3].

وسرعان ما انخفضت دلالة اللقب "المقر" فاستعمل لكبار الأمراء والعســـكريين، كما استعمل للمدنيين من الوزراء، وأجاز القلقشندي استعماله لأصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفيّة[4]. وأمّا السُلطان، فقد ظلّ لقب "المقَام" مختصاً به.

وكان اللقب يستعمل في مخاطبة بعض الملوك، إذ أورد القلقشندي بعض الأمثلة، كما في مخاطبة (صاحب هراة)، وصاحب كرمينان من بلاد الروم[5]. وأمّـــا الصفـــات التي تلحق باللقب، فمنها الأشرف، والشريف، والعالي، والكريم[6].

ويتّضح ممّا سبق أنّ لقب "المقرّ" قد أصابه انحطاط دلالي في عصر المماليك، إذ أُطلق في بدايات العصر على السلطان المنصور قلاوون، ولم يتلقّب به أحد غيره مـــن

---

(1) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٩٥.
(2) المصدر نفسه، ج١٠، ص١١٦-١١٨.
(3) الألقاب الإسلامية، ص٤٨٩.
(4) صبح الأعشى، ج٦، ص١٤٦-١٤٧.
(5) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٧.
(6) نفسه، ج٥، ص٤٥٩.

السلاطين، ثمّ انحطّت دلالة اللقب، حتى أصبح يستعمل للأمراء والوزراء وأصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفية كما ورد سابقاً.

أمّا في العصر الحديث، فقد استخدمت هذه اللفظة في الأردن للدلالة على مقرّ إقامة جلالة الملك عبد الله الأول، إذ وردت اللفظة في المخاطبات الموجّهة إلى جلالته، فوردت بصورة "المَقَرّ" **"صاحب السمو الملكي أمير البلاد المفدّى"**[1]، ووردت موصوفة "بالعالي" **"صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم / المقرّ العالي"**[2]، ووردت مضافة **"المقرّ الأميري"**[3]، وهي بهذا الاستعمال مماثلة للديوان الملكي المستخدمة حالياً.

وترتبط هذه اللفظة الآن بمكان إقامة الملوك والزعماء والأمراء، وكبار السياسيين، فيقال "مقرّ إقامته"، وفي هذا دلالة على أنّ اللفظ له قيمة دلالية.

يتّضح ممّا سلف في معرض الحديث عن الألقاب التبجيلية استمرارية الدلالة لبعض الألفاظ، مع توسّع في المعنى، كما يبدو هذا في ألفاظ: الحضرة، والسيّد، والشريف، وثمّة لفظان قد أصابهما رُقيّ في الدلالة وهما: الملك، والسامي، وتمثّل الانتقال الدلالي في لفظ الأفخم من مخاطبة الملوك في عصور سابقة، إلى مخاطبة رؤساء الدول أو الحكومات الآن. والاستقرار الدلالي للفظي: المقام، والمعظّم في مخاطبة الملوك، ولوحظ إحياءٌ لبعض الألفاظ التي هُجِرت وأُعيد استعمالها كما في لفظي: خادم الحرمين الشريفين، والشريف. وهناك لفظ حدث توسّع في دلالته وهو لفظ المقرّ.

(1) الوثائق الهاشمية / أوراق عبد الله بن الحسين، المجلد الأول، ص١٤.

(2) المرجع نفسه، ص٤٩٥.

(3) نفسه، ص٤٤.

الفصل الثّالث

ألفاظ خاصّة بالسلطنة

يتناول هذا الفصل مجموعة من الألفاظ الخاصة بالسلطنة، من مثل: الديوان، والحاجب، والطُغْرَى، والخَاصكيّة، وغيرها. ويمكن الإشارة هنا إلى منهج الدراسة في هذا الفصل ستختلف نوعاً ما عمّا سبقه من فصول؛ وذلك من حيث إنّ هناك بعض الألفاظ منقولة عن الأعجمية، وسأجتهد في إعادتها إلى الأصل العربي ما أمكن.

- **الحَاجِب:**

جاء في صبح الأعشى: "**الحاجب هو في أصل الوضع عبارة عمّن يبلّغ الأخبار من الرعية إلى الإمام، ويأخذ لهم الإذن منه، وهي وظيفة قديمة الوضع لابتداء الخلافة**"(1).

والحَاجِب اسم فاعل اشتقّ من مادّة "حَجَبَ"، صفة غالبة على البّواب، وجمعها حَجَبَه وحُجَّاب(2)، وورد اللفظ واشتقاقه في الشعر الجاهلي، ومن ذلك ما جاء في قول النابغة الذُّبياني(3):

يَطيرُ فُضاضاً بَيْنَها كلُّ قَوْنَسٍ ... ويَتْبَعها مِنْهُم فَراشُ الحواجبِ

وفراش الحواجب: عظام رقاق تحت الحواجب.

ووردت بصيغة محجَّب، وتعني باب الملك، ويبدو ذلك في قول لبيد بين ربيعة(1):

نَشِينُ صِحَاحَ البيدِ كلَّ عَشِيَّةٍ ... بِعُوجِ السَّرَاءِ عند بابِ مُحَجَّبِ

وقال قيس بن الخطيم(2) يذكر لفظ الحاجب صريحاً، التي بمعنى الجانب:

---

(1) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٩-٤٥٠.

(2) اللسان، مادة حجب؛ تاج العروس، مادة حجب.

(3) ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، ص٤٧.

تبدّت لَنا كالشمسِ تحتَ غمامـــةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجِـبِ

ومن اشتقاقات اللفظ في القرآن الكريم الحجاب، وتعني الستر والمنع، ويبدو ذلك فـــي قوله تعالى: ﴿وبَيْنَهما حِجَاب وعلى الأعرافِ رجالٌ يُعْرَفُونَ كلاً بِسِيمَاهُم﴾ (٣)، وقوله تعـــالى: ﴿فاتَّخَذَت مِنْ دُونِهم حِجَاباً فأرْسَلْنَا إلَيْهَا رُوحَنَا﴾(٤).

وفي الحديث النبوي الشريف قال صلى الله عليه وسلّم: "إذا بَدا حاجب الشمس فـأخِّروا الصلاة حتى تبرز، وإذا غابَ حاجب الشمس فأخِّروا الصلاة حتى تغيب"(٥)، والحـــاجب فـــي الحديث بمعنى ناحية منها. وقال صلى الله عليه وسلّم: "ليقفنّ أحدكم بين يديّ الله ليـــس بينـــه وبين الله حِجاب ولا ترجمان"(٦).

فالدلالة الأصلية للفظ، وهي البروز العظمي الذي يعلو العين ويحميها، ثمّ انتقلت لتـــدل على عموم المنع والستر، حَجَبَ الشيء يحجبه حَجْباً، وحجاباً، وحجَّبه، ستره، فالحجاب هـــو كل ما حال بين شيئين، وما أشرف من الجبل، ولحمة رفيعة بين الجنبين، والحجاب أن تموت النفس وهي مشركة، كأنّها حجبت بالموت عن الإيمان، كما ورد في حديث النبي ﷺ (٧).

ومن اشتقاقات اللفظ أيضاً الحجبُ في الميراث، فالإخوة يحجبون الأمّ عن الثلث إلـــى السدس(٨)، وتطوّرت دلالة اللفظ إلى معنى الحفظ، ومنه جاء لفظ الحاجبين: العظميين اللذيـــن فوق العينين بلحمهما وشعرهما، والجمع حواجب، فهما يحميان العين ويدافعان عنها.

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص١٩.
(٢) ديوان قيس بن الخطيم، ص٧٩.
(٣) الأعراف، الآية ٤٦.
(٤) مريم، الآية، ١٧.
(٥) صحيح مسلم، ج٣، ص١٨٠.
(٦) صحيح بخاري، ج٢، ص١١٣.
(٧) اللسان: مادة (حجب).
(٨) اللسان، مادة (حجب).

وجاء لفظ الحجابة بمعنى حفظ الكعبة وحمايتها[١]، ثمّ تطوّر اللفظ ليدلّ على منصب له علاقة بالخلفاء والحكّام، فيقال: حاجب الأمير أو الخليفة؛ الذي يمنع دخول النّاس إلاّ بعد إذن الخليفة. فقد كان الخلفاء الراشدون لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون النّاس على اختلافهم بلا حجاب، إلاّ أنّ القلقشندي يذكر نقلاً عن عيون المعارف للقضاعي أنّ للخلفاء الراشدين حُجّاباً[٢].

والمؤكّد أنّه لمّا انتقل الحكم إلى بني أميّة، اتّخذ معاوية الحجاب بعد حادثة الخوارج، ثمّ سار الخلفاء على نهجه، وذلك خوفاً على أنفسهم[٣]. وعرف العبّاسيون نظام الحجابة، فاتخذوا الحاجب في منع النّاس عن لقاء الخليفة إلاّ في الأمور المهمّة، وعلت مرتبته فأصبح يُستشار في كثير من أمور الدولة[٤]. فهو موظّف كبير يشبه كبير الأمناء في أيّامنا[٥]. وكان للحجاب رئيس يسمّى حاجب الحجاب، وكان إذا أبدى كفاية في عمله ينقل إلى رتبة أعلى[٦]. وزمن الدولة الفاطميّة أُطلق على الحاجب صاحب الباب، وكانت مهمّته في العصر الفاطمي حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه وهي المهمة السابقة نفسها[٧]، واستمرّ من بعدهم في عهد الدولة الأيوبيّة[٨].

---

(١) اللسان، مادة (حجب).

(٢) صبح الأعشى، ج٥، ٤٤٩.

(٣) الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن الشيباني، المعروف بابن الأثير، مجلد ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٥٢؛ وانظر: مقدّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، نسخة محقّقة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٣٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ٢٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، ط٧، ١٩٦٤، ج٢، ص٢٦٤.

(٦) تاريخ العراق في العصر العباسي، ص١٦٨، ١٦٩.

(٧) صبح الأعشى، ج٣، ٢٨٣.

(٨) المصدر نفسه، ج٥، ٤٤٩.

وأمّا في عهد المماليك، فقد عظم أمر الحجابة، حتى أصبحت في مرتبة نيابة السلطنة، وانتقلت إلى من يشغلها اختصاصات النائب عندما ألغى السلطان الناصر محمد هذا المنصب سنة ٧٢٧هـ(١).

ولم تقتصر مهمّة الحاجب في ذلك العصر على إدخال النّاس على السلطان، بل صار يقضي بين الأمراء والجند، إمّا بنفسه أو بعد استشارة السلطان، وكان يقف أحياناً بين يديّ السلطان في المواكب ليبلّغه رغبات رعيته، كما كان يركب أمامه وهو يحمل عصا، وكان ينظر في المظالم(٢).

وكانت الحجابة في الدولة الأمويّة بالأندلس رفيعة ومهمّة، وهي تشبه منصب رئيس الوزراء في الوقت الحالي، يقول ابن خلدون "**وأمّا في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم، فكانت في دولتهم رفيعة غاية، كما تراه في أخبارهم**"(٣).

في دول المغرب العربي وإفريقية، لم يكن فيهما ذكر لهذا الاسم؛ لأنّ هذه الدول تميّزت بالبساطة على ما يذكر ابن خلدون(٤). ويتّضح الرقي الدلالي لهذه اللفظة في العصر العباسي والفاطمي وفي عهد المماليك، وفي الدولة الأموية في الأندلس.

وأمّا في العصر الحديث، فأصبحت صفة غالبة تدل على البوّاب(٥).

ويلاحظ ممّا سبق بأنّ دلالة الحاجب كانت تدلّ في الأصل على النتوء الذي يعلو العين ويحميها من الأعلى، ثمّ أُخذت هذه الحماية للعين للدلالة على حماية الرجل الأول وهو الوالي أو أمير المؤمنين.

---

(١) صبح الأعشى، ج٤، ٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ٢١٩؛ ج٥، ٤٥٠.

(٣) مقدّمة ابن خلدون، ٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) المعجم الوسيط، مادة (حجب).

وكانت في هذه المرحلة تمثّل رقي دلالة حاجب، ثمّ تدنّت دلالتها في بعض العصور، وأصابها البلى في الوقت المعاصر، فلا تكاد تذكر إلاّ للدلالة الأصلية وهي النتوء الذي يعلو العين، أو البوّاب. ويلاحظ الانحطاط الدلالي لهذه اللفظة في العصر الحاضر عمّا كانت عليه في عصور سابقة.

- **الخَاصَكِيَّة:**

جاء في حديث القلقشندي عن خواص الخليفة في العصر الفاطمي قوله: "**صبيان الخاص هم جماعة من أخصّاء الخليفة نحو خمسمائة منهم أمراء وغيرهم ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية في زماننا**"(١).

والخَاصَكِيَّة: كلمة مركّبة وهي في الفارسية "خَاصَكَي" بالجيم الفارسية الثقيلة (?) وأصلها من معنى الخاصّة العربية، اسم الفاعل من "خصّ" مع هاء التأنيث "وكَي" الفارسية، وهي لاحقة يكون في إلحاقها أنّ الكلمة مركّبة معها تعطي ما هو مصدر، وإن صرفت إلى غير المصدر(٢). ويفهم من ذلك، أنها تعطي دلالة المصدر مع أنها اسم فاعل.

وورد اشتقاق اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿واتَّقوا فِتْنَةً لا تُصيبَنَّ الَّذين ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً﴾ (٣).

وفي الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلّم: "فلا يسقون منه، لأنّ الحوض لهذه الأمّة خاص دون سائر الأمم"(٤).

فالخاص لغة ضد العام، يُقال خصّه بالشيء يخصّه خصّاً وخُصوصاً وخَصوصة وخُصوصية، والفتح أفصح، وخصّ فلان بالأمر أفرده به دون غيره، والخاصة خلاف العامة،

---

(١) صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٧.

(٢) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، معجم ودراسة إبراهيم السامرائي، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٧، ص٢٠٤.

(٣) الأنفال، الآية ٢٥.

(٤) صحيح ابن حبان، ج١٤، ص٣٦٠.

والخاصة الذي اختصصته لنفسك[١]، والخاص اصطلاحاً هو اللفظ الدال على فرد لا يشترك غيره معه[٢].

"**وخاصة الشيء ما لا يوجد بدون الشيء، والشيء قد يوجد بدونها، كما الألف واللام لا يوجدان بدون الاسم، والاسم يوجد بدونهما كما في زيد**"[٣]. فوجود خاصة السلطان مرتبط بوجود السلطان، فلولا وجود السلطان لما وجدت خاصّته. والخاصة لقب الأمير أبي الحسن فائق بن عبد الله الأندلسي لاختصاصه بالسُّلطان الأمير السيد أبي صالح منصور والي خراسان[٤].

وكانت تعرف في العصر العباسي باسم الخواص، ومفردها خاصّة وخاصّ، وقد عرف مثيل الخَاصكي في الدولة الغزنوية باسم خاصة خادم. ويرى حسن الباشا، أنّ مثل هذه الألفاظ حرّفت في عصر المماليك إلى خَاصكي، ويبدو أنّه كان هناك خَاصكيّة من النّساء، وربّما كان هؤلاء بمثابة الوصيفات[٥]. وعُرِفَ الخاصكية في عصر الفاطمية، وأطلق عليهم اسم "صبيان الخاص"[٦]. وعرفوا في الدولة الأيوبية على ما ذكره القلقشندي "**وفي هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر مُتَّخذة من شباك حديد محكمة الصفة، يُصلّي فيها السلطان، ومن معه من أخصّاء خَاصكِيّة يوم الجمعة**"[٧].

---

(١) اللسان، مادة (خصص).

(٢) الموسوعة الإسلامية الميسرة، المشرف العام محمود عكام، دار صحارى، دمشق، ج٥، ص٩٧٦.

(٣) كتاب التعريفات، ص١٠٧.

(٤) تاج العروس، مادة خصص.

(٥) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ص٤٦٣، ٤٦٤.

(٦) صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٧.

وكانت الخَاصَكيّة في العصر المملوكي من أهمّ طوائف المماليك السلطانية، فهم الذين يختارهم السلطان من المماليك الذين تولى تربيتهم منذ الطفولة، وإنّما عرفوا بذلك الاسم لأنّهم كانوا يلازمون السلطان في خلواته، وأوقات فراغه، وينالون من خيره وعطاياه[١].

وقد وصف القلقشندي هذه الطائفة من المماليك بأنها كانت عند السلطان "أعظم الأجناد شأناً، وأرفعهم قدراً، وأشدّهم إلى السلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً"[٢]. وكان الخاصكية يظلون معظم النهار وجانباً من الليل في خدمة القصر السلطاني، ومن هنا جاءت تسمية رئيس المماليك السلطانية جميعاً ومنهم "الخاصكية" باسم رأس نوبة، وبلغت درجة قربهم من السلطان مبلغاً كثيراً حتى إنهم كانوا يدخلون عليه بدون استئذان[٣].

وللدلالة على أهميتهم في هذا العصر أنّه كان يكتب إليهم في قَطْع الثلثين من الورق، وهو ما يكتب به لأعلى المراتب من الأمراء، ولأولاد السلطان، وللخاصكية[٤].

والخاصكية جمع مفرده "خاصكي" وهو قياس إبداعي كما يقول البدراوي زهران فرضه الاستعمال والواقع الاجتماعي ليعبّر عن ظاهرة دلالية مطلوبة[٥]. وهو منسوب إلى الخاص "ويستخدم قبل ياء النسب "كافاً" زائدة لتعطي نوعاً من الدلالة أيضاً على نحو ما ينسبون إلى الخاصكية. فقالوا: الخاصكي للدلالة على قسم من المماليك يختارهم السلطان والجُلبان الذين دخلوا في خدمته صغاراً وجعلهم حرسه الخاص[٦]. وتشيع زيادة الياء في كثير من المفاهيم والمصطلحات، ومن ذلك: عربنجي، وكندرجي، وموسرجي.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط١، ج٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٢١٦.

(٢) صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٥٥.

(٤) نفسه، ج١٣، ص١٥٨.

(٥) في علم اللغة التاريخي، ص٢٢٧.

(٦) علم اللغة التاريخي، ص٢٨٩.

وربما تكون الخاصكية كلمة منحوتة ويقصد بها "خاصة الملك" فأتي بكلمة خاصة وجيء بالكاف للدلالة على الملك، فقيل خاصكية وبإضافة ياء النسب. فتكون الخاصكية لفظة منحوتة، وهو نهج لغوي عربي مألوف.

ويعرف الخاصكي في الفارسية على أنّه نديم الملك والمقرّب، والخازن[1].

وعرفت هذه الطائفة في العصر العثماني، ولكن باسم "الحرس الخاص للسلطان"، وهي طائفة عسكرية تأسست سنة ١٥٥٤ من المماليك، ثم انتسب إليها أُناس جلبوا من اسطنبول، ومنح أفرادها امتيازات خاصة وصار لهم نفوذ كبير، وهذه الطائفة كانت استمراراً للفرقة المملوكية التي عرفت بالخاصكية، وشكّل أفرادها حرس السلاطين المماليك[2]. وفي العهود المتقدّمة للسلطنة العثمانية إلى عهد السلطان أحمد الثالث ١١١٥هـ، كانت زوجة السلطان التي تلد أميراً ويخلع عليها لقب التشريف "خاصكي سلطان"، أمّا التي لا تلد إلاّ البنات فيطلق عليها اسم "خاصكي قادن"[3].

وفي العصر الحديث ما زال اللفظ مستخدماً ويحمل الدلالة نفسها، ولكن بصيغة أخرى، فيقال: الحرس الملكي الخاص، وهم الذين يلازمون جلالة الملك ويرافقونه، ويراعى في اختيارهم الإخلاص والولاء، ويقال أيضاً الحرس الأميري والحرس الجمهوري، وهم الحرس الخاص للأمير أو الرئيس.

يلاحظ مما سبق الاستقرار الدلالي لهذه اللفظة، إذ إنّ دلالتها واحدة في مختلف العصور، ولكن الفارق في التسمية، ويلاحظ أيضاً التداخل الدلالي بين هذه اللفظة بكونها مصطلحاً عسكرياً، وبإضافتها إلى الملك أو السلطان أصبحت تعطي دلالة سياسية وعسكرية.

---

(١) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص٢٠٤.

(٢) العرب والعثمانيون، ص٩٨، ٩٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة خاصكي.

ويذكر إبراهيم السامرائي: إنّ الخاصكي بالكاف ما زالت شهرة لبعض الأسر في العراق[1].

- **الدُّسْتُور:**

أورد القلقشندي ما رآه في دُسْتُور ابن فضل الله العمري، حول قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن الخلفاء وكيفية الكتابة والقلم الذي تكتب به، وصورة وضعها في الورق **"ثم الذي رأيته في دستور معتمد ينسب لابن فضل الله العمري أن يكون بين كل سطرين قد ربع ذراع"**[2].

"وفي بعض الدساتير أن سطوره تكون مزدوجة على نظير البسملة والسطر الأول، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوقة"[3]. والسبب في ذلك كما بيّنه القلقشندي **"أنّ العهد كالمكاتبة من العاهد للمعهود إليه، كما أنّ التقليد كالمكاتبة من المقلِّد للمقلَّد والأعلى في حقّ المكتوب إليه أن تكون السطور متضايقة. فناسب أن تكون سطور العهد أكثر تقارباً من سطور التقليد وما في معناه تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين"**[4].

ويفهم من ذلك أن في تقارب الأسطر وتباعدها دلالة، حيث يميز ما بين المكتوب إليه بالعهد، وما بين المكتوب إليه بالتقليد بالولاية.

ويعرض القلقشندي نماذج للدساتير التي أوردها شهاب الدين الفارقي والصلاح الصفدي في دستورهما عند نائب الشام "**المجلس السامي والأميريّ الأجليّ**"[5].

ويتحدّث القلقشندي عن الألقاب التي يخاطب بها أهل الإسلام وأهل الكفر في غير ما ورد في التعريف بالمصطلح الشريف، وعُرف التعريف يقول: "**مما وجدته في غيرها من**

---

(1) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص٢٠٤.
(2) صبح الأعشى، ج١٠، ص١٥٤.
(3) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٥٤.
(4) نفسه، ص١٥٤-١٥٥.
(5) نفسه، ج٦، ص١٤٣؛ ج٨، ص٤٥.

الدساتير المجموعة من السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرفهم مما استعمله أهل الزمان ومن قاربه، والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف طُرُقها، اخترع ما شاء من الألقاب والنعوت، والضابط في وضع الألقاب أن يراعي فيها أحوال المكتوب له، فيؤتى منها، بما يناسب حاله في الوظيفة والرّياسة وسائر أوصاف المدْح اللائقة به"[١]. فصاحب السيف يؤتى إليه بالألقاب التي تدلّ على شجاعته، وصاحب العلم يؤتى بالألقاب الدالة على علميته، ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب الدالة على الصلاح والتعبّد[٢].

وفي المكاتبة إلى ملك الروم صاحب القسطنطينية يقول القلقشندي: **"ورأيت في بعض الدساتير أنّه يختمها بقوله (فيحيط بذلك علماً) والله تعالى يديم بهجته"[٣].**

ويعرض القلقشندي أنواعاً من المكاتبات التي تعدّ دساتير منذ السلف الصالح في الدولة الطولونية والأيوبية ودولة المماليك[٤].

فالدساتير عبارة عن كتب تنظّم نواحي نشاط ديوان الإنشاء المختلفة من كتابة وإنشاء وإدارة ومراسيم ومصطلح، وبعضها يتناول أدقّ التفاصيل عن الورق والقلم والخطوط والحديث عن الألقاب والمراسيم[٥].

ولم تكن هذه الدساتير خاصة بعصر دون عصر، بل كانت حلقات في سلسلة متّصلة، يمتدّ أصلها إلى القرون الأولى من العصر العباسي، ويؤيّد ذلك وجود مجموعة من الكتب عنيت بها مثل: أدب الكاتب لابن قتبة (ت٢٧٠هـ)، وكتاب الوزراء لابن عبدوس الجهشياري (ت٣٣١هـ)، والأحكام السلطانية للماوردي (ت٤٥٠هـ)، وغيرها[٦].

---

(١) صبح الأعشى، ج٦، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٩٦.

(٣) نفسه، ج٨، ص٤٥.

(٤) نفسه، ج٨، ص١٢٦ وما بعدها.

(٥) الألقاب الإسلامية، ص٣٦.

(٦) المرجع نفسه، ص٣٧.

والدُستُور كلمة فارسية مكوّنة من لفظين (دَسْت) وتعني يد أو سلطة، و (ور) وتعني صاحب، والمعنى صاحب السلطة[1]، وأصلها في الفارسي (دَستور)، فضمّت الدّال لإلحاقها بأوزان العرب، وجمعها دساتير.

وتتعدّد معاني الدستور في اللغة الفارسية منها: إجازة، وإذن سلام عند الانصراف، ووزير، مُستَشار في الدولة، وكاتب في الدولة ونموذج، وصدر أعظم، وبرنامج، أساس، وقانون، والنسخة الأصلية عن الكتاب، ودفتر، وصفة الطبيب، ورسم، وقاعدة، وضرائب، وإجراء العهد، وكاهن، وسادِن في معبد نار[2].

ويلاحظ من المعاني السابقة أنها تتنوع بين دلالات سياسية، ودلالات دينية، ودلالات كتابية واجتماعية.

وفي معجم دي شير "الدُستُور": الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند أو الذي تجمع فيه قوانين الملك، ويطلق على الوزير الذي يرجع في أحوال الناس إلى ما تركه، وصاحب القوة، ومنه استهلال الدولة في كتاباتها إلى وزرائها بقولها "دستور مكرم"[3].

وتستعمل كلمة الدستور لطلب الإذن لمرور الرجال بين النساء ليشقّوا الطريق ويفسحوا المجال[4]. وهو مطابق لبعض معانيه في الفارسية، سلام عند الانصراف، وإذن، إلاّ أنّه يستخدم بإبدال الدال "تاء"، فيقال: "تستور"، وهذا ما يستخدمه بعض العوام، ولكن ليس في جميع اللهجات مثل: دَفْتَر وتَفْتَر[5].

---

(1) غرائب اللغة العربية، روفائيل نحلة اليسوعي، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص٢٢٨.

(2) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ١، ص١٢٠١.

(3) معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٦٣.

(4) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٧٥.

(5) تاج العروس، مادة دستر.

وورد اللفظ "الدُستُور" في بعض القصائد الشعرية بمعنى الكتاب، قـال صفـي الديـن الحلي[1]:

وعِفتُ حسابُهم والأصلُ عنـدي   وفي كَفِّي دستور البقايـــا

وورد في شعر أحمد شوقي[2]:

بُشرى البرية قاصيها ودانيهـــا   حاط الخلافة بالدستور حاميها

ويقصد بالدستور "الدُستور العثماني" والذي حاط الخلافة السلطان عبد الحميد. وهنـا دلالـة جديدة يُعنى بها القانون.

ويعدّ الدستور في العصر الحالي أهمّ وثيقة في الحياة السياسية للمجتمع، وفـي بنيـان الدولة، وهو مجموع القواعد القانونية التي يتم بمقتضاها تنظيم الدولة وممارسة الحكـم فيـها والتي توضّح سلطات الحكومة، وحقوق المواطنين وواجباتهم[3].

ويتّخذ الدستور في العصر الحالي في تنظيم البلدان شكل وثيقة مكتوبة ومحدّدة، كما أنّ الدستور قد يتألف من مجموعة من الأعراف والتقاليد المصحوبة بسلسلة من التشريعات كمـا في بريطانيا، والغرض الأساسي من الدستور هو بيان سلطات الحكومة[4].

ويتّضح ممّا سبق الفارق الدلالي بين مفهوم الدستور كما ورد في عصر القلقشـندي، إذ كان بمثابة طريقة أو قواعد تبيّن كيفية المكاتبات والمراسلات الخاصة بالدولة والحاكم، وأسس يحتكم إليها الكاتب الماهر، بحيث يراعي في مراسلاته ومكاتباته أحوال المكتوب له، فيُؤتـى فيها بما يناسب حاله في الوظيفة والرئاسة وسائر أوصاف المدح اللائق به.

---

(1) ديوان صفي الدين الحلي، ص٤٢.

(2) ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب أحمد محمد الحوفي، ج١، دار نهضـة مصـر، القـاهرة، ص٤١٢.

(3) موسوعة السياسة، ص٦٧٩؛ ومعجم المصطلحات السياسية، ص٢٠٣.

(4) معجم المصطلحات السياسية، ص٢٠٣.

وقد استقرت دلالة لفظة دستور في العصر الحاضر لتدلّ على مجموعة القوانين التي تقوم عليها الدولة وتتحدّد من خلالها علاقاتها مع أبناء شعبها ومع الدول الأخرى، كما كانت عن الأقدمين؛ لأنّها تدلّ على القوانين التي تحكم ديوان الرسائل، والدليل على ذلك قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي، وبهذا تكون كلمة الدُستور قد تخصّصت دلاليا. ويلاحظ أيضاً أنّ هذه اللفظة تستعمل أحياناً في كلام المشعوذين، وبخاصة في مصر الذين يتعاملون مع الجنّ، وكأنّها أداة أو طريقة للتخاطب معهم.

- دِيوَان الإنْشَاء:

جاء في صبح الأعشى: "**ديوان الإنشاء اسم مركّب من مضاف وهو ديوان، ومضاف إليه وهو الإنشاء. وأمّا الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكُتّاب وهو بكسر الدال**"[1]. "**وأمّا الإنشاء فإنّه مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه واخترعه**"[2].

واختلف في أصل الديوان، فذهب أبو جعفر النحّاس (ت٣٣٨هـ) إلى أنّه عربي "**والمعروف في لغة العرب أنّ الديوان الأصل الذي يُرجع إليه ويُعمل بما فيه، كما قال ابن عبّاس: إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب أي أصله**"[3]. ويقال: "**دوّن هذا أي أثبته واجعله أصلاً**"[4].

ولم يرد اللفظ "الديوان" في الشعر الجاهلي، ولم يرد في القرآن الكريم، وورد في الحديث النبوي الشريف بمعنى الكتاب، قال صلى الله عليه وسلّم "يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه"[5].

---

(1) صبح الأعشى، ج١، ص٨٩.
(2) المصدر نفسه، ج١، ص٩٠.
(3) صناعة الكتاب، ص١٠٧.
(4) المصدر نفسه، ص١٠٧.
(5) مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣٥٧.

وقال صلى الله عليه وسلّم "فأمّا الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، وأمّا الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً"[١].

وورد اللفظ في الشعر الأموي والشعر العباسي، ومنه قول قيس بن الملوح:

في كلِّ مَنْزِلةٍ ديوانُ معرفةٍ   لم يُبْقِ باقيةً ذِكْرُ الدواوينِ[٢]

لقد جَعَلَتْ دواوينُ الغَواني   سوى ديوانِ لَيْلَى يمَّحينا[٣]

فورد بمعنى الموضع والمكان.

وقول أبي فراس الحمداني[٤]:

الشعرُ ديوانُ العربِ   أبداً وعنوانُ الأدبِ

فورد بمعنى الأصل.

وقد ذكر سيبويه الديوان في كتابه، وقال إنّ أصله "دوّان"، واستدلّ على ذلك بقولهم في الجمع "دَواوين"، وفي التحقير "دُوَيْوين"؛ فالياء في ديوان بدل من الواو[٥]، واستحسن النحّاس ذلك، إذ أبدلوا عن إحدى الواوين ياءً، ونظير ذلك: دينار، والأصل فيها دنّار، وكذلك قيراط، الأصل فيها قرّاط[٦].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٦، ص٢٤٠.

(٢) شرح ديوان قيس بن الملوح، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٢٢٤.

(٣) شرح ديوان قيس بن الملوح، ص٢٢٧.

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عبّاس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص٣٣.

(٥) الكتاب، ج٤، ص٣٦٩.

(٦) صناعة الكتاب، ص١٠٧.

ودَيْوان بالفتح خطأ؛ لأنّه لم يجز قلب الواو ياءً، وإن قيل إنّ الياء أصل، فهذا خطـــأ، فلو كانت الياء أصل لقيل في الجمع: دَيَاوين، فكما لا يقال: دَيْنَار، وقَيْراط، لا يقال: دَيوان[1]. فديوان أصلُها: "دوّان" فقلب أحد حرفي التضعيف ياءً كراهة إجماع الأمثال[2].

وذهب الأصمعي (ت٢١٥هـ) إلى أنّه فارسي معرّب، والمراد بــه كتّــاب يشــبهون الشياطين، وأصله دوّان، فأبدلت الواو الأولى ياءً تخفيفاً لثقل التضعيف، ولم تُبْدَل "الثانية" يـاء لبقاء التضعيف لو أبدلت[3]. وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه، فقال: **"الديــوان فارســي معرّب"**[4]. وينقل الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل عن المرزوقي في كتابه "شرح الفصيح" أنّ الديوان لفظ عربي من دونت الكلمة إذا ضبطتها؛ لأنّه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدوّن، ويرجّح الشهاب الخفاجي ذلك ويقول: **"هذا هو الصواب، وليس معرّباً، ويطلق علــى الدفــتر وعلى محله وعلى الكتاب، ويخصّ في العرب بما يكتب فيه الشعر"**[5].

ويبيّن الماوردي في الأحكام السلطانية سبب تسمية ديوان، وفي ذلك وجهان: أحدهمــا أنّ كسرى ذات يوم اطّلع على كتّاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مـــع أنفســـهم فقــال "ديوانه" أي مجانين"، فسمي موضعهم بهذا الاسم، ثمّ حذفت الهاء من آخره لكثرة الاســتعمال فقيل ديوان[6]. وعليه اقتصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب[7].

والثاني: أنّ الديوان بالفارسية اسم للشياطين، وسمي الكتّاب بذلــك لحذقــهم بــالأمور وقولهم على الجلّي منها والخفيّ[8].

---

(1) صناعة الكتّاب، ص١٩٨.

(2) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عبد القادر مرعي الخليل، ط١، ٢٠٠٢، ص١٥٤.

(3) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ص١١٩.

(4) معجم الصحاح، مادة (دون).

(5) شفاء الغليل، ص١١٩.

(6) الأحكام السلطانية، ص٣٠٧.

(7) صناعة الكتاب، ص١٨.

(8) الأحكام السلطانية، ص٣٠٧.

وفي اللسان: الديوان مجمَع الصحف فارسي معرّب[1]، وفي دائرة المعارف الإسلامية أنّ لهذه الكلمة صلة بكلمة "دب" الآشورية، وتعني سجلات الحساب العامة[2].

وفي المعجم الفارسي: الديوان "**مكان مجمع، وبلاط، ودفتر المحاسبة، وساحة العدل، وقاضي، ووزير، ومجلس، ومجلس الشورى، ورئيس الجباة، وضرائب، وديوان شعر، ورئيس الوزراء**"[3].

وفيما يتعلّق بالتأصيل لهذا اللفظ، فأميل إلى ما ذهب إليه المرزوقي وغيره، من أنّ اللفظة عربية الأصل، ويبدو أنّ ثمّة علاقة بين "الديوان" ومادة (دَوَن) التي منها (دون) الظرفية؛ فالديوان اسم لمكان يكون دون صاحبه بمعنى قبله، فديوان الملك أو السلطان دون مكانهما أي قبله.

أضيف اللفظ إلى الإنشاء: والإنشاء من نشأ، يَنْشأ نشأ ونشوءاً ونشأة، وورد الاشتقاق لهذا اللفظ في الشعر الجاهلي، ومنه قول قيس بن الخطيم[4]:

لو كُنْتُمُ مِنّا قريباً لَخِفْتُمُ   سِبابِي إذا أَنْشَأْتُ في شُربِ الخَمْرِ

ووردت في البيت بمعنى بدأت.

فمن معاني الإنشاء: الحدث الذي جاوز حدّ الصغير وصغار الإبل، والسحاب، وارتفاع الليل، وأول الليل والنهار والشيئة: البئر ويراد بها المخرج منها، والمستنشئة: الكاهنة سميت بذلك؛ لأنّها كانت تنشئ الأخبار وتطلبها[5].

ومن أنشأ بمعنى ابتدع، اشتقّ الإنشاء وإضافته إلى الديوان تحتمل أمرين:

---

(1) اللسان: مادة (دون).
(2) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ديوان).
(3) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ١، ص١٢٨٣.
(4) ديوان قيس بن الخطيم، ص٢٣٠.
(5) اللسان: مادة (نشئ).

أحدهما: أنّ الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنْشأ عنه وتبتدأ عنه، والثاني أنّ الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالاً[١].

وديوان الإنشاء أول ديوان وضع في الإسلام كما يقول القلقشندي؛ لأنّ النبي ﷺ أمـــر أشخاصاً ليكتبوا له الرسائل لملوك الأرض، وللأمراء، وأصحاب السرايا، والصحابة؛ لأنّ هذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء، بخلاف ديوان الجيش الذي وضعه عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه[٢].

وفي العصر الأموي استخدم الأمويون كاتباً لديوان الإنشاء، مثل عبد الحميد الكـــاتب وسمي ديوان الرسائل[٣].

وفي العصر العباسي، زادت المكاتبات الإدارية ودعت الحاجة إلى تنظيمها وأســـندت مهمتها إلى ديوان خاص، وكان الإشراف في بداية الأمر إلى الوزير مباشرة، ونتيجة لضخـــم أعمال الديوان فصل عن الوزارة، وأصبح له رئيس خاص به، ومن أشهر الكتّاب يحيى بـــن خالد، وكان يطلق عليه ديوان الرسائل، أو ديوان المكاتبات[٤].

أمّا في العصر الفاطمي، فقد صرف الفاطميون عنايتهم إلى ديوان الإنشاء، فارتفع قدره وشاع ذكره، وعرف بأسماء مختلفة، فأطلق عليه ديوان الرسائل، وسمي ديـــوان المكاتبـــات، وديوان الإنشاء، ولم يعرف بهذا الاسم في مصر قبل العصر الفاطمي[٥].

---

(١) صبح الأعشى، ج١، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٩١.

(٣) نفسه، ج١، ص٩٣.

(٤) نفسه، ج١، ص٩٤؛ والخطط، ج٢، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) صبح الأعشى، ج١، ص٩٥، ٩٦؛ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم مـــتز، تعريـــب، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧، ص١٥٠.

وفي الدولة الأيوبية توالت كتابة الإنشاء، وظلّت نظم ديوان الإنشاء وتقاليده التي عرفت في العصر الفاطمي معمولاً بها في العصر الأيوبي[1]. وأطلق في عهد صلاح الدين الأيوبي على الخليفة نفسه[2].

وفي العصر المملوكي استمر ديوان الإنشاء في مستواه الرفيع الذي وصل إليه في العهد الفاطمي، وكان مقر هذا الديوان في القلعة، وفيه قاعة خاصة مثل "الوزارة" تعرف باسم قاعة الإنشاء.

وتتّضح أهمية ديوان الإنشاء في عصر المماليك لكونه المكان الذي تكتب وتحفظ فيه مراسلات ومكاتبات السلطان، ويطلق على متولّي هذا الديوان "صاحب ديوان الإنشاء"، أو "كاتب السرّ"، أو "كاتم السرّ" الذي يحتاج في عمله إلى معرفة لغة الكتب التي ترد عليه ولا يطلع أحداً عليها؛ لأنّها أحفظ لسرّ الملك[3].

وتتّضح أهمية ديوان الإنشاء في هذا العصر أيضاً من أنّ الخليفة كان يخاطب في أثناء الكتابة "بالديوان العزيز"، وسبب الخطاب بالديوان العزيز التهيّب من مخاطبة الخليفة مباشرة وتنزيل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان، والمعنى به ديوان الإنشاء؛ لأنّ الكتب وأنواع المخاطبات إليه واردة وعنه صادرة[4].

وأمّا في العصر الحديث، فلكلمة ديوان مجرّدة عن الإنشاء أكثر من دلالة، فتطلق على ديوان الشعر، وتطلق على مكان استقبال الضيوف، ويلاحظ تحوّل اللفظ إلى الإنجليزية والروسية والفرنسية إلى (divan) ، وفي الأرمنية إلى (tivan)، ويدل في الأرمنية على مقعد طويل ذي حشايا أو نحوها في موضع الجلوس[5].

---

(1) صبح الأعشى، ج١، ص٩٧؛ والألقاب الإسلامية، ص١٧.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، مادة ديوان.

(3) صبح الأعشى، ج١، ص١٦٥-١٦٧؛ وانظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٤٤.

(4) التعريف بالمصطلح الشريف، ص٧، ٨.

(5) غرائب اللغة العربية، ص١٢٩.

ولعلّ ديوان الإنشاء موجود في العصر الحاضر في صورتين: الأولى الصورة المعادلة له "الديوان الملكي" أو الأميري، ويقصد به اسم مكان لاستقبال الضيوف وتنظيم برنامج الزيارات وتنفيذها، واستقبال البرقيات والرسائل وإصدارها. والصورة الثانية "ديوان" دون إضافة، ويقصد به استقبال المخاطبات والردّ عليها، وهو موجود في الدوائر والمؤسسات، إذ يوجد "ديوان" في كل دائرة، والقائم عليه رئيس الديوان، وعدد من الموظفين، إذ من خلاله تستقبل وترسل المخاطبات الواردة والصادرة عن الدائرة أو المؤسسة.

ويستخدم الديوان اليوم بوصف حلقة مكوّنة من مجموعة من الأشخاص يتبادلون الحديث. ويضاف إلى ذلك أنّ هناك اشتقاق "منشئ" من أنشأ في العصر الحديث مجرّدة من كلمة "ديوان" وتستعمل في أماكن رسمية هامة، ومن ذلك منشئ الرسائل للملك أو الأمير أو الرئيس.

- الطَبَلْخَانَاه:

جاء في صبح الأعشى في ذكر رسوم الملك وآلاته "**الطَبَلْخَانَاه هي طبول متعدّدة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صُحبة الطّلب في الأسفار والحروب، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك**"(1)، ويُقصد بصُحبة الطّلب مصاحبها للملوك في السفر في الحروب.

"**وخَانَاه لفظ فارسي معناه البيت، والمعنى بيت كذا، إلاّ أنّهم يؤخّرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك**"(2). ومن أمثلتها "الفراش خاناه، والسلاح خاناه، والركاب خاناه".

والطّبْلُ لفظ عربي معروف، ورد في الشعر الجاهلي بمعنى "الخلق"، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة(3):

---

(1) صبح الأعشى، ج٤، ص٨.

(2) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠.

(3) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص٣٤٤.

ثمَّ جَريْتُ لانطلاق رِسْلــــــــي   ستعلمون مَنْ خِيارُ الطَّبْــــلِ

وورد اللفظ آلةً موسيقيةً عند شعراء العصر العباسي.

قال أبو نواس(١):

يحكي صداهُ مجيدُ الصوت إذ نطقَتْ   منه اللغات على طبلٍ ومِزْمَارِ

وقال ابن المعتز(٢):

وصَاحبِ سُوءٍ وَجْهُهُ لي أوجُهٌ   وفي فمهِ طبلٌ لسرّيَ يضْــرِبُ

ومن معاني الطبل: شيء من خشب يتّخذه النساء، وسلة الطعام، والخلق، ونـــوع مـــن الثياب، والخراج، ومنه قولهم فلان يحب الطبلة؛ أي يحب دراهم الخراج، والطبَّالة: النعجة(٣).

والطبلة آلة يشدّ عليها الجلد ونحوه، ينفر عليها، وأغلب ما كانت بوجـــــهين(٤). وهـــو المعنى المقصود به في هذا التركيب.

وأمّا الخان فيعدّها صاحب اللسان، فارسي معرّب(٥).

والطَبَلْخَانَاه: هي الطبول، ويقال لها الدبادب والبوقات والزمر المعـــروف بالصـــهان، الذي يضرب كل ليلة بباب الملك وخلفه في المواكب، وهي من شعار الملك القديـــم، ويذكـــر القلقشندي نقلاً عن مسالك الأبصار أنّ الطبل في بلاد المغرب يختص ضربه الســـــلطان دون غيره(٦). وهي بهذا المعنى تمثّل الفرقة الموسيقية السلطانية.

---

(١) ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (ت١٩٠هـ)، ط١، تحقيق بدر الدين حاضري، محمـــد حمـــامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٤١.

(٢) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٨٠.

(٣) اللسان، مادة (طبل).

(٤) معجم الوسيط، مادة (طبل).

(٥) اللسان، مادة (خون).

(٦) صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٤.

والطَبَلْخَانَاه أيضاً المكان المخصص من حواصل[1] السلطان لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها كل ليلة، ويتولّى أمرها في السفر، ولها مهتار[2] متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطَبَلْخَانَاه، وله رجال تحت يده "الدنبدار"؛ وهو الذي يضرب على الطبل، ومنّقر وهو الذي يضرب بالبوق و"كوسي" وهو الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض[3]. والكوسي طبل في لهجة الإمارات.

وأصل نظام الطبلخاناه أنّ السلطان علاء الدين خوارزم لما عزم المسير إلى العراق، وخالف الخليفة الناصر، ضرب لنفسه نوبة[4]، ذي القرنين تعاظماً في وقتي الشروق والغروب، بعدما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ففوّضها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب سلطنتهم، واختار لضربها سبعة وعشرين ملكاً، وكانت آلة النوبة من الذهب[5].

ويبيّن أرسطو في كتابه السياسة الذي كتبه للإسكندر أنّ السرّ في ذلك إرهاب العدو في الحرب؛ لأنّ في أصواتها تهييجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش، كما تنفعل الإبل بالحُداء والحِداء، ونحو ذلك، وكلما كثرت أعدادها، كان أفخم لشأن الملك ورفعته[6].

وقد استخدم هذا النظام زمن الدولة العباسية[7]، والدولة الأيوبية[8]، واستخدمت مع غيرها من الألفاظ في العصر المملوكي، مثل السلاح خاناه، والفراش خاناه، والركاب

([1]) الحواصل: أماكن لحفظ أو خزن أصناف معينة.

([2]) لقب يقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت، وهو مكوّن من (مه) بالفارسية وتعني الكبير، و(تار) بمعنى أفعل التفضيل، فالمعنى المهتار الأكبر، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧٠.

([3]) صبح الأعشى، ج٤، ص١٣.

([4]) النوبة عند المغنين اسم لآلات الطرب، وربما أطلقت على المطربين إذا اجتمعوا، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٥٣.

([5]) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٢٨، ٢٢٩.

([6]) صبح الأعشى، ج٤، ص٩؛ ج٢، ص١٣٥.

([7]) التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفرقان، ١٩٨٦، ص١١٦.

([8]) صبح الأعشى، ج٤، ص٨.

خاناه"[1]. حيث أورد القلقشندي تعريفاً لكل واحدة، وكان يضع المضاف قبل المضاف إليه وفق عرف العربية.

(وطبل خانه) لفظ مكون من مضاف طبل، ومضاف إليه خانه، والأصل أن يقال خـان الطبل، وهذا ناتج عن التأثر والتأثير بين اللغات وخاصة في ظاهرة قلب الإضافة[2].

ويرى البدراوي زهران أنّ (خاناه) تؤدّي في العربية وظيفتها الصرفية التي تؤدّيها في لغتها الأصلية، وأنّ العربية هنا تنازلت عن واحدة من خصائصها الصرفية، وهـي خاصيّـة الإضافة، حيث إنّ المضاف يسبق المضاف إليه دائماً، وطبقاً لقواعد الفصحى، كان المفروض أن يقال "بيت الطبل، بيت الفراش"، فالعربية بهذا تحقّق هدفين، أولهما صرفي، والثاني دلالي، وهما مرتبطان معاً، ولا يمكن الفصل بينهما، فقد أُنقصت عدد الوحدات اللغوية الداخلـة فـي التركيب بشكل ملحوظ وأحكمت الدلالة بدقة[3].

وحول كلمة (خان)، يقول إبراهيم السامرائي إنّ "خان" بمعنى منزل كلمـة فارسـية عرفتها العربية الدارجة بهذا المعنى، أو ما هو نزل أو فندق للمسافرين وللبضائع والتجارات، وقد عرّب العرب في فروق خصّت هذه الكلمة فجعلوها "الحان" بالحاء، وخصّوهـا بـالخمرة والشاربين، ومثلها "خانة" مؤنّثة فابتعدت عن دلالتها باللغة الفارسية[4].

والخان ما يزال مستخدماً في العراق في المدن التقليدية والأسـواق الشـعبية خاصـة بمعنى النزل سابقاً، وحوّل الآن إلى مخازن لخزن بضائع التجّـار، ويسـتعمل فـي الأردن وفلسطين.

---

(1) صبح الأعشى، ج٤، ص٩-١٠.

(2) علم اللغة التاريخي، ص٣٠٧.

(3) المرجع نفسه، ص٢٨٣.

(4) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص٢٠٥.

والطغراء في الفارسية "**علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يـــدرج فيـــها اسمه، فارسيتها طغرا**"[١]. وقيل إنّ اللفظ مشتقّ من اللفظ "الأويغوري" "تغراغ" الذي يدلّ على طابع الملك الأويغوري وتوقيعه، وعلى جواد يعاد إلى الجيش لغايات عـــرض عســكري أو طوال حرب من الحروب، والتغيّر في تغراغ إلى طغرا يعلّل ما جرى في اللغة العثمانية مـــن إسقاط الحرف الحلقي الأخير (غ) في لغة الأوغور[٢].

وفي دائرة المعارف الإسلامية، أنّ اللغة العربية الدارجة خلطت بين طغرى وطـــرّة، والتي تعني جانب الثوب أو الحاشية العليا من وثيقة، وعلى الرغم من محاولات تشبيه اللفـــظ بألفاظ أخرى، إلاّ أنّه يعود إلى أصل تركي خالص[٣].

فالطغراء: "**كتابة مشتبكة الحروف فـــي فرمانـــات ســـلاطين تركيـــة ومســـكوكاتهم toughra**"[٤]. والتي تعني "**توقيع الملك، خاتم الملك، الخاتم الملكي فـــوق الفراميـــن، الأوراق الرسمية والعملة، خط منحنى ومتداخل، فرمان سلطاني**"[٥].

ويرادف اللفظ الفارسي نيشان أو نيشانة وجمعه العربـــي نياشـــين ومعنـــاه العلامـــة، ويرادف اللفظ العربي توقيع[٦]، أو ختم، وموجودة صورته في بعض رسائل النبي صلـــى الله عليه وسلّم، وكانت علامة ختمه "محمد رسول الله"[٧].

ويعرض البدراوي زهران لهذه اللفظة نموذجاً لكلمات بدأت بتغـــيرات صوتيـــة فـــي أضيق الحدود، ثمّ تطوّرت صوتياً، ودخلت في دائرة المفارقات البعيـــدة، فصـــارت الألـــف المقصورة ألفاً ممدودة، فالتقارب قوي بين الكلمة في صورتها الصوتية، ثمّ أصابـــها تطـــوّر

---

(١) كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٣٣.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).
(٣) المصدر نفسه، مادة (طغراء).
(٤) غرائب اللغة العربية، ص٢٧٣.
(٥) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ٢، ص١٨٥٨-١٨٥٩.
(٦) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).
(٧) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص١٦١، ١٦٢.

ضيّق آخر عن طريق قانون السهولة، فتحول لفظة "طغراء" إلى "طغرة"، فتحولت الهمزة إلى تاء مربوطة، تنطق مرّة تاء، وأخرى هاء حسب موقعها، وساعد على ذلك أنّ الهمزة والتاء توحيان أنّ الكلمة مؤنّثة، وأخذت صيغة "فَعْله"(1). ويقول البدراوي زهران أنها تطوّرت عند شعراء المسلمين زمن الحروب الصليبية صوتياً ودلالياً، فمن حيث الأصوات صارت "طـرة" وجمعت على طرر، وتطوّرت دلالياً وصارت تطلق على الجباه الجميلة، ويورد بيتاً قاله شاعر مسلم متغزّلاً بفتيات فرنجيات:

فيا عذولي فيهن دع كلفي   وانظر إلى الشمس هل لها طـرر (2)

ويبدو أنّ اللفظة ليست بتركية ولا فارسية، إنّما هي لفظة عربية منحوتة من لفظين هما "طُرة غراء" وكلاهما ورد في الشعر الجاهلي، قال عمر بن قميئة:

وفيهنّ خَولَةُ زَيْنُ النّساءِ   زَادَتْ على النَّاس طُرًا جَمَالا(3)

وقال الأعشى:

غرّاء فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضها   تمشي الهُوَيْني كما يمشي الوَجِي الوَحِلِ(4)

وغرّاء بمعنى بيضاء.

والذي حدث في (طرة غَراء) أن حذفت التاء من طرّة لأنّها علامة تأنيث موضعها آخر اللفظ وسدّت مسدّها (اء) في غراء، ثمّ حذفت الراء من طرة لتكررها بعد الغين، فجعلت الكلمة "طُغْراء" وضمت العين بأثر تقدّمي من ضمّة الطاء.

فموقع الطرة من الكتاب أعلاه، وموقع الغرّة من الفرس أو المرأة أعلاها، فصارت "طرة غراء" للدلالة على العلامة السلطانية المميّزة للكتاب، ويضاف إلى ذلك أنّ ما أورده البدراوي زهران حول التطوّر الصوتي لهذه اللفظة في عصر الحروب الصليبية لم يكن

(1) علم اللغة التاريخي، ص81.
(2) المرجع نفسه، ص254.
(3) ديوان عمرو بن قميئة، ص110.
(4) ديوان الأعشى الكبير، ص55.

تطوّراً صوتياً؛ لأنّ اللفظة وردت بهذه الصورة في الشعر الجاهلي، والدليل على ذلك ورود اللفظة في شعر ابن قميئة.

والنسبة إلى (طُغْرى) طُغْرائي، وهي على هذه الشاكلة جاءت على غير القياس، إذ إنّ النسب إلى طُغْراء طُغْرائي، والطُغْرائي هو الكاتب في ديوان الطُغْراء أو المتولّي لأمر الطُغْراء، وممن أطلق عليه هذا اللقب الشاعر أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي المشهور بالطغرائي (ت٤١٥هـ) كان نائباً في ديوان الطغراء، وتولّى منصب الطغراء في الدولة السلجوقية عام ٥٠٥هـ، وهو منصب على قدر كبير من الأهمية[١].

واستخدمت الطغرى بين سلاطين المماليك، الذين استعاروها من السلاجقة عن طريق الأيوبيين[٢]. وورد اللفظ بصيغة الجمع، فقيل "طَغْراوات"، واستعملت في المناشير إلى آخر الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين، (١٣٦٣-١٣٧٦هـ)، ثمّ تركت بعد ذلك ورفض استعمالها وأهملت"[٣].

ويعرض القلقشندي صورة "طغرى" منشورة بألقاب السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون مضمونها "**السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان، الشهيد الملك المنصور، سيف الدين قلاوون**". وعدد منتصباتها من الألف وما في معناه خمسة وثلاثون منتصباً[٤]. ويقصد بالمنتصبات الحروف التي تكتب قائمة مثل الألف وما شابهها. ويعرض نسخة "طغرى" منشور أيضاً بألقاب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر قلاوون[٥].

---

(١) ديوان الطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي (ت٥١٥هـ)، تحقيق علي جواد طاهر، ويحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦، مقدمة التحقيق، ص١٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).

(٣) صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦٢.

(٤) صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦٤-١٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ج١٣، ص١٦٥-١٦٦.

وتختلف هذه الطغراوات باختلاف تركيباتها، باعتبار كثرة منتصباتها من الحروف وقلّتها، على حسب كثرة آباء ذلك السلطان وقلّتهم، ويحتاج واضعها إلى مراعاة ذلك باعتبار قلّة منتصبات الكلام وكثرتها، فإن كانت قليلة، أتي بالمنتصبات بقلم مبسوط، وإن كانت كثيرة أتي بالمنتصبات بقلم أدق من ذلك[١].

وفيما يتعلّق بتقديم اسم السلطان على البسملة، فإنّ الاحتجاج كما يوضّحه القلقشندي في قوله تعالى في قصّة بلقيس ﴿إني ألقي إليّ كتاب كريم إنّه من سليمان، وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[٢]. ويحتمل قوله "إنّه من سليمان" حكاية عن قول بلقيس، ويكون بسم الله الرحمن الرحيم هو أول الكتاب فلا يكون في ذلك حجّة على تقديم اسم على البسملة، وإنّما يتّجه الاحتجاج بذلك على القول بأنّ قوله "إنّه من سلميان" من كلام سليمان عليه السلام، وأنّه قدّم اسمه على البسملة وقاية لاسم الله تعالى؛ لأنّه من عادة ملوك الكفر أنهم إذا لم يرضوا كتاباً مزّقوه أو تفلوا فيه فجعل اسمه حالاً محل الوقاية، وهذا لا يكون هنا؛ لأنّ المحذور فيه غير موجود؛ لأنّ المناشير إنّما تلقى إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة، والموفين لها حقّها، وحينئذ يكون لترك استعمالها وجه ظاهر من وجهة الشرع بخلاف ما في المكاتبات إلى ملوك الكفار[٣]. واستخدمت الطُغرى في العصر العثماني، وأقدم طُغرى عُرفت التي على سكّة للأمير سليمان[٤].

وأمّا في العصر الحديث، فما زالت اللفظة مستخدمة في سلطنة عُمان، وهي وسام سلطاني يمنحه السلطان تقديراً لمستحقّيه.

---

(١) صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦٣.
(٢) النمل، الآيات ٢٩، ٣٠.
(٣) صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦٣.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغرى).

- **كَاتِبُ السِّرّ:**

جاء في صبح الأعشى: كاتب السرّ هو صاحب ديوان الإنشاء[1]. ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً والجلوس بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير في بعض الأمور، ومشاركة الدّوَادار في أكثر الأمور السلطانية[2].

وكاتب السر اسم مركّب من لفظين كلاهما ورد اشتقاقه في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ومن ذلك قول ثعلبة بن عمرو العبدي يشير إلى الكاتب صراحةً[3]:

أكبَّ عليها كاتِبٌ بِدواتِـــهِ ... يُقيمُ يَدَيْهِ تَارةً ويُخَالِـــفُ

وجاء اللفظ صراحة في قول الأخنس بن شهاب[4]:

لابنةِ حطّانَ بن عوفٍ مَنـازِلٌ ... كما رقَّشَ العِنوانَ كاتِـبُ

وورد اللفظ صريحاً في قول أبي ذؤيب الهذلي يصف كاتباً من اليمن[5]:

عَرفَتُ الدِّيَارَ كرقمِ الـــدواةِ ... يَزْبُرُهَا الكاتِبُ الحِمْيَـريُّ

ورد اللفظ واشتقاقه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾[6]، وورد بمعنى فرض في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عليكم القصاص﴾ [7].

---

(1) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٤.

(2) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠.

(3) المفضليات، المفضل بن محمد الضبّي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص٢٨١.

(4) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(5) ديوان الهذليين، القسم الأول، ص٦٤.

(6) البقرة، الآية ٢٨٢.

(7) البقرة، الآية ١٧٨.

وورد في حديث النبي ﷺ عن الدجّال "مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كـــاتب وغير كاتب"[١]، ويفهم من الحديث ممّن يعرف الكتابة أو لا يعرفها.

وكاتِبْ اسم فاعل اشتقّ من مادة (كَتَبَ) والتي تأتي على معانٍ متعـــدّدة، منـــها كتـــب الشيء يكتبه كَتْباً وكتاباً وكتابة، خطّه، والكتاب اسم لما كُتِبَ، والكتاب التوراة، ورجل كـــاتب والجمع كُتَّاب وكتبه مهنته الكتابة، والكاتب: العالم؛ لأنّ الغالب على من يُعـــرف الكتابـــة أن يكون عنده علم ومعرفة، والكِتاب الفَرْض والحُكْمْ، وأكتتب القربة شـــدّها بالوكـــاء، والكتبـــة جماعة الخيل إذا غارت، وتكتبت البغلة ضُمَّ بين شُفرتيها بحلقة، والكتائب جمعه كتيبة وهـــو الجيش إذا تكتب، وسميت الكتابة بالكتابة لاجتماع الحروف وضمّ بعضها إلى بعض[٢]. وقيـــل للكاتب كاتبٌ؛ لأنّه يضم بعض الحروف إلى بعض ويؤلّفها[٣]. وقد أفاض ناصر الدين الأســـد في حديثه عن معرفة العرب للكتابة في كتابه مصادر الشعر الجاهلي[٤].

واللفظ الآخر: السر الذي ورد في قول الشـــاعر النابغـــة الذبيـــاني بمعنـــى الإخفـــاء والكتمان[٥]:

ايَّامَ تُخْبرُني نُعْمٌ وأخبرهـــــا ... ما أكتمُ الناسَ من حاجي وأســـراري

ومن اشتقاقات اللفظ "سرارة" بمعنى الأرض الكريمة ورد في قول لبيد بن ربيعة[٦]:

فَشَيَّعَهُم حَمْدٌ وزانت قُبُورَهـــم ... سَرارةُ ريحانٍ بِقاعٍ مُنَـــــــوّرٌ

وورد التركيب كتوم الأسرار بمعنى أمينها وحافظها في قول قيس بن الخطيم[٧]:

---

(١) صحيح مسلم، ج٩، رقم ٢٩٣٤.
(٢) اللسان، مادة كتب.
(٣) صناعة الكتاب، ص٩٥.
(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأســـد، دار المعـــارف، القـــاهرة، ط٥، ١٩٧٨، ص٢٣ وما بعدها.
(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦.
(٦) شرح ديوان لبيد، ص٥٣.
(٧) ديوان قيس بن الخطيم، ص١٦٣.

وإن ضيّع الإخوانُ سرّاً فإنّني   كتومٌ لأسرارِ العشيرِ أميـــــــــنُ

وورد اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فإنّه يعلمُ السرَّ وأخفى﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿لا تواعد وَهنّ سرّاً﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿فأسرّها يوسف في نفسه﴾ [3]، والمعنى واحد فـــي الآيـــات الكريمة، وهو "الخفاء".

وورد اللفظ في حديث النبي ﷺ في حديث أنس بن مالك "ثم أسرّ إليّ النبي صلـــــى الله عليه وسلم سرّاً فما أخبرت به أحداً بعده"[4].

فالسرّ من سَرَرَ، وهو ما أخفيت، والجمع أسرار، والسرُّ ما أسررت به السريرة عمل السرّ من خير أو شرّ، وأسرّ الشيء وكتمه وأظهره وهو من الأضداد، واستسر الهلال خفـــي، والسرّ النكاح لأنّه يكتم والسرّ الزنا، وسميت الجارية سُرِّية لأنها موضع سرور الرجل، والسر وسط الوادي، وأرض سرّ كريمة طيبة[5]. فالذي يحفظ السر طيّب كريم.

والكاتِبُ لفظ يدلّ على عموم وبإضافته إلى السرّ عُرِّف ليدلّ على صاحب مهنة، لـــــه منزلته وأهميته عند الملوك والحكّام. ويعرض القلقشندي أهمية كاتب السرّ ومنزلته بالنسبة إلى الملك، فيقول: **"أمّا رفعة محله وشرف قدره، فأرفع محل وأشرف قدر، يكاد أن لا يكون عنـد الملك أخصّ منه ولا ألزم لمجالسته ولم يزل صاحب هذا الديوان معظّماً عند الملوك في كـل زمن مقدّماً لديهم على من عداه، يُلقون إليه أسرارهم، ويخصّونه بخفايا أمورهم ويطلعونـــه على ما لم يطّلع عليه أخصّ الأخصّاء من الوزراء والأهل والولد"**[6]. وهو أول مـــن يدخـــل

([1]) طه، الآية ٧.

([2]) البقرة، الآية ٢٣٥.

([3]) يوسف، الآية ٧٧.

([4]) صحيح البخاري، ج٧، ص١٤٢.

([5]) اللسان، مادة (سرر).

([6]) صبح الأعشى، ج١، ص١٠١.

على الملك وآخر من يخرج من عنده، يطّلعه على مهمات مملكته، وهو لا يثق بأحد من خاصته ثقته به[1].

وتتّضح أهمية كاتب السرّ للملوك في قول المأمون "**الملوك تحتمل كل شيء إلاّ ثلاثة: القدح في المُلْكِ، وإفشاء السرّ، والتعرّض للحرَم**"[2].

ولقبه في زمن بني أمية وقبله فيعبّرون عنه بالكاتب، وفي الدولة العباسية، لقّب السفاح كاتبه "أبا سلمة (الخلال) بالوزارة. وفي الدولة الفاطمية، والأيوبية كاتب الدَست[3].

وكان صاحب ديوان الإنشاء في بدايات عهد المماليك يلقّب تارة باسم صاحب الدَّست الشريف، وتارة باسم كاتب الدَّرج، وتارة باسم كاتب الدَّست، وبقي الأمر على هذا إلى أيّام المنصور قلاوون، حيث أطلق عليه كاتب السرّ، ونقل لقب كاتب الدّست إلى طبقة دونه من كُتّاب الديوان[4].

وعلت منزلته في العصر المملوكي، وفي ذلك يقول القلقشندي: "**ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة ومحله أعظم محل، إليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها وبرأيه يستضاء في مشكلاتها، ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية كافة، ويقوم توقيعه على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان**"[5].

وممّا يدلّ على منزلة كاتب السرّ في العصر المملوكي أنّه كان يحضر وبحكم منصبه حلف اليمين التي يؤدّيها ولاة الأقاليم الذين يعيّنون في المناصب الجديدة، ويقوم بكتابة مراسيم تولية الولاة وتزويدهم بنصحائه، ويشترط على كاتب السرّ أن يكون ملمّاً بقواعد البلاط

---

(1) صبح الأعشى، ج١، ص١٠١.

(2) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٧.

(3) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٣؛ ومعالم الكتابة، ص٤٤.

(4) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.

(5) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٢.

وأصوله ويتولّى تحديد الألقاب التي يرد بها على أصحاب الكتب المرسلة إلى السلطان ويشير بنوع الورق المناسب ويصحح أخطاءها(١).

وكاتب السرّ في عمله هذا، يشبه في العصر الحديث عمل رئيس الديوان، أو السكرتير الخاص لجلالة الملك. ومن الألقاب التي عرف بها كاتب السر: لسان الدولة، ولسان السلطنة(٢). ويفهم من اللقب أنّ صاحبه هو المتحدّث الرسمي باسم الدولة.

وكان لكاتب السرّ مساعدون يلونه في الرتبة وهم كُتّاب الدَّست، وكتّاب الدَّرج، وكتّاب الدّست هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السرّ ويوقّعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر، وسمُّوا كتّاب الدَّست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه، لجلوسهم للكتابة بين يديه، وهم أحقّ كتّاب الإنشاء باسم "الموقعين" لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم(٣).

والدّست لفظ فارسي معرَّب دشت وهي الصحراء، واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزراء والرآسة(٤). وفي العربية له معانٍ أربع "اللباس، والرآسة، والحيلة، ودست القمار"(٥).

وجاء في محيط المحيط: الدَّسْت لفظ فارسي أخذته العرب وتصرّفت به لمعانٍ كثيرة، وجمعه "دُسُوت"، ومن معانيه: الصحراء، واللباس، والورق، وصدر البيت والمجلس، والحيلة والخديعة، ويطلق على خمسة عشر من العدد، ومنه الدَّسْته الحزمة من الملاعق، وعند العامّة المرجل الكبير من النحاس، والحزمة معرّب دَسْته(٦). وقد اجتمع أكثر هذه المعاني للحريري في المقامة الشعرية، حيث يقول: "نشدتُك الله ألست الذي أعارَهُ الدَّسْت "الثوب"، فقلت: لا

---

(١) تاريخ المماليك البحرية، علي إبراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣١٠.
(٢) صبح الأعشى، ج٦، ص٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٧.
(٤) شفاء الغليل، ص١٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص١٢٣.
(٦) محيط المحيط، مادة دست، ج١، ص٢٤٩.

والذي أحلّكَ في هذا الدَّسْت "المجلِس" ما أنا بصاحب ذلك الدَّست "الثوب"، بل أنتَ الذي عليه الدَّسْت "الحيلة"(١).

وأما قول القلقشندي سموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه، فهذا معنى جديد من معاني الدست يكشف عنه القلقشندي، وبهذا تسهم كلمة الدست في ظاهرة الترادف والمشترك اللفظي معاً(٢).

وكُتّاب الدَّرْج مهمّتهم الاطلاع على الملاحظات التي يبديها كاتب السرّ أو أحد كتّاب الدَّست أو نائب السلطنة، وسمّوا بذلك لتحرير كتبهم على دُرُوج، والمراد بالدَّرْج الورق المستطيل المركّب من عدّة أوصال وهو عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة(٣).

وأمّا وظيفة كاتب السرّ في الوقت الحاضر، فيماثلها رئيس الديوان الملكي، أو السكرتير الخاص لجلالة الملك، وأمّا لفظ كاتب السرّ، فيقابلها "لفظة. أمين السر؛ وهو الحافظ الحارس، الذي يتولّى رقابة شيء أو المحافظة عليه، والجمع أمناء(٤).

وأمين السرّ درجة حزبية كبيرة في العراق، تماثل كاتب السرّ في العصور السابقة.

- المَرْسُوم:

جاء في صبح الأعشى: "**ممّا يكتب في الولايات السلطانية، المَرَاسيم جمع مَرْسُوم أخذاً من قولهم: رسمْتَ له كذا فارتسمه إذا امتثله، أو من قولهم: رَسَم عليّ كذا إذا كتب، ويحتمل أن يكون منهما جميعاً**"(٥). والمَرْسوم اسم مفعول اشتقّ من الثلاثي رَسَمَ الذي ورد في الشعر الجاهلي، قال عبيد بن الأبرص(٦):

---

(١) معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٦٣.
(٢) علم اللغة التاريخي، ص٢٤٤.
(٣) صبح الأعشى، ج١، ص١٣٨.
(٤) معجم الوسيط، مادة أمن.
(٥) صبح الأعشى، ج١١، ص١٠٧.
(٦) ديوان عبيد بن الأبرص، ص١١٢.

أمِنْ مَنْزِلٍ عافٍ ومِنْ رَسْم أطْـــلالِ   بكَيْتَ وهل يَبْكي من الشَّوقِ أمثالي

وقال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان[١]:

تحمّل أهلُهُ بَيْنَه فبانـــــــــــــوا   وفي عَرَصاتهِ مِنهُمُ رسُــــــــومُ

فالرسم والرسوم في الأبيات السابقة وردت بمعنى الأثر.

وجاء في الحديث النبوي الشريف عن جابر بن زيد قال بلغني عن رسول الله ﷺ قـــال "رَسْمُ المداد في ثوب أحدكم إذا كان يكتبُ علماً كالدّم في سبيل الله"[٢]، وورد في الحديث أيضاً بمعنى الأثر.

فالرَّسم: الأثر وقيل بقية الأثر، وما لصق بالأرض منها، ورسم الغيث الدار أبقى أثـــراً لاصقاً بالأرض، وترسم الرّسم نظر إليه. والرّوسم كالرسم، شيءٌ تُجلَى به الدنانير، والطـــابع والعلامة. والرواسم: كتب في الجاهلية، وثوب مرسم مخطط والمراسم الماء الجاري، وناقـــة رسوم تؤثّر في الأرض من شدّة الوطء. ورسمْتُ له كذا فارتسمه إذا امتثله[٣]، ومنـــه اشـــتقّ "المرسوم"؛ لأنّ فيه تنفيذ لأوامر ورغبات السلطان، ويلاحظ الأصل المادي للمرســـوم وهـــو الأثر في الأرض وانتقاله إلى الدلالة المعنوية ليدل على أوامر السلطان والتي تترك أثراً بارزاً في النفوس، كالأثر الذي يتركه الرسم في الأرض.

ومن صور المَرْسُوم التي أوردها القلقشندي في كتابه "مَرْسُوم كريم بأن يستقر المجلس السامي الأمير فلان الدين أعزّه الله تعالى في النيابة بكذا"[٤].

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدّم له، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص١١٩.

(٢) مسند الربيع بن حبيب، ج١، ص٣٢.

(٣) اللسان، (رسم).

(٤) صبح الأعشى، ج١١، ص١١٠.

"ومَرْسُوم كريم أن يستقر المجلس السامي الأمير فلان الدين أعزّه الله في شدّ الدواوين بالمكان الفلاني"[1]، "ومَرْسُوم شَريف أن يستقر فلان، أو أن يرتّب فلان في كذا وكذا"[2].

ويفهم ممّا سبق، أنّ المرسوم هو قرار سلطاني يقضي بتعيين شخص ما في وظيفة معيّنة.

والذي يكتب المراسيم السلطانية مُستَوفي الصُحْبة[3]، ويعلّم عليها السلطان، ومُستَوفي الصُحْبة هو: الملازم للسلطان في السفر والإقامة والمطّلع على الأسرار والخفايا، ويوصي بإلزام الكتّاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها[4]. وفي ديوان الصحبة تثبّت التواقيع والمراسيم السلطانية[5].

والمَرْسُوم يقع على ضربين "مراسيم مكبّرة" ويكتب بها لنواب القلاع وأمراء العربان[6]، و "مراسيم مصغّرة" تكتب للعسكريين بالولايات الصغيرة مثل نظر الأوقاف[7].

وعرض القلقشندي مرسوماً لتحويل السنة القبطية إلى السنة العربية من إنشاء القاضي الفاضل عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"[8]. وهذا يدلّ على أنّ هذا النظام معمول به من الدولة الأيوبية.

وكتب أبو الحسن بن هلال الصابئ (ت٤٤٨هـ) كتاباً سمّاه "رسوم دار الخلافة"، ذكر فيه مراسيم الخلافة، وفي ذلك يقول محقّق الكتّاب. إنّ القصد من هذا المصطلح "رسوم"، أو

---

(١) صبح الأعشى، ج١١، ص١١١.
(٢) المصدر نفسه، ج١١، ص١١٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩.
(٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٦٥-١٦٦.
(٥) صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩.
(٦) المصدر نفسه، ج١١، ص١٠٨.
(٧) المصدر نفسه، ج١١، ص١١٠.
(٨) المصدر نفسه، ج١٣، ص٧١.

"مرسوم" هو مجموع العادات المتّبعة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة، وهو ما يعرف بالفرنسية بالإتيكيت Etiquette .

والثاني: مجموعة الاحتفاء بالنّاس في أمور السياسة والقيام بها، ومقابلة الملوك وعظماء الدول، ويعرف بالفرنسية "بروتوكول" "protocole". ويقول إنّ هذين المعنيين يتّضحان من عناوين وفصول الكتاب، فهو يتحدّث عن الخلفاء والاحتفال بمواكبهم، وما يقع في مجالسهم، وكيف كانت الأمور تسير بحضورهم، وفي مكالمتهم ومقابلتهم ومسايرتهم(١).

ومن الرُسُوم: اشتقّ الأتراك العثمانيون كلمة "مراسم" للدلالة على معنى قريب من معنى "البروتوكول"، ومن كلمة "الرَّسْم" جاءت كلمة "الرَّسْمي"، و"اجتماع رسمي"، و"حفلة رسمية"، و"صدر مَرْسُوم"(٢).

والمرسوم يقابل لفظ "فرمان"، وهو لفظ فارسي قديم معناه الأصلي "الأمر"، ثمّ اتّسع استعماله فصار مرادفاً "للمرسوم السلطاني" "tetterspatent"، أو للتقليد "Diploma" (٣).

وفي العصر الحديث تعدّدت دلالة هذه اللفظة، إذ اشتق من اللفظ "الرسمي" والعمل الرسمي وهو العمل الذي ينتسب إلى الدولة ورجل رسمي: يمثّل الدولة في عمله وقوله، ورقة رسمية، تثبت فيها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة، ما تمّ على يديه في حدود اختصاصه(٤).

والمرسوم: ما يصدره رئيس الدولة كتابة في شأن من الشؤون، فتكون له قوة القانون، والمرسوم: قانون ذو صبغة تشريعية يصدره رئيس الدولة وجمعه مراسيم(٥). ومن المراسيم التي يصدرها رئيس الدولة في الشؤون السياسية التكليف بتشكيل وزارة جديدة أو إقالة وزارة،

---

(١) رسوم دار الخلافة، أبو الحسين، بن هلال الصابئ (ت٤٤٨هـ)، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، مقدّمة التحقيق، ص٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٣) علم اللغة التاريخي، ص٢٤٧.

(٤) معجم الوسيط، مادة رسم.

(٥) المرجع نفسه، مادة رسم.

أو افتتاح البرلمان، ونحو ذلك[١]. ويقابل المرسوم في الأردن الآن الإرادة الملكيـة السـامية، وفي الدول العربية، يقال مرسوم جمهوري، ومرسوم أميري، وهي تحمل الدلالة نفسها التـي سادت في عصر القلقشندي. وأمّا مراسيم وهي جمع مرسوم وهي مستخدمة الآن فـي الأردن، والعراق، وهي نفسها ما ذكره الصابئ فـي رسـوم دار الخلافـة الـذي يقـابل الإتكيـت والبروتوكول، إذ تعني طريقة الاستقبال والاحتفال بقدوم ضيف، أو تعيين السفراء ونحو ذلك.

- المُشِير:

جاء في صبح الأعشى: المُشِير الذي يشير على غيره بالرأي، وهو من ألقاب الـوزراء ومن في معناهم، ويقال: مُشير الملوك والسلاطين، ومُشير السلطنة[٢].

والمُشير اسم فاعل من أشار، على زنة (مُفْعِل)، وورد اللفظ واشـتقاقه فـي الشـعر الجاهلي، قال النابغة الذُّبياني[٣]:

أقامَ كأنَّ لقمان بن عـــادٍ أشارَ له بحكمتهِ مشيـــرُ

وجاءت مشير تأكيداً لقوله "أشار بحكمته"

ومن اشتقاق اللفظ "الشوار" جاء في قول الأعشى[٤]:

لمّا رآني إياسٌ في مُرَجَّمَـــةٍ رثّ الشّوارِ قليلَ المالِ مُنْشابَـــا

والشوار بمعنى الهيئة الحسنة واللباس.

وقال أيضاً[٥]:

كأنَّ جَنِيّاً من الزنجبيـــل خالطَ فاها وَأَرْياً مَشُـــورا

---

(١) اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، ص٧٥.

(٢) صبح الأعشى، ج٦، ص٧٠.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص١٥٦.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٣.

ورد بمعنى شار العسل أي جمعه.

وورد اشتقاق اللفظ في القرآن الكريم بمعنى المشورة وأخذ الرأي، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (٢).

وفي الحديث الشريف "ثمّ استشار رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الأسارى أبا بكر، فقال: قومك وعشيرتك، فخلِّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم"(٣)، وقال صلى الله عليه وسلّم "المستشار مؤتمن"(٤).

أمّا اللفظ فقد اشتقّ من مادة (شَوَر) والتي تأتي من معانٍ متعدّدة، منها: شار العسل استخرجه واجتناه، والشّارة والشُّورة الحسنُ والهيئة واللباس، والشوَّرة حسن المخبر عند التجربة، وفي ذلك تشبيه بالمنظر؛ أي إنّ مخبره مثل منظره، وقصيدة شيرة، حسنة، والمُستَشِير السَّمين، شارت الإبل، والفرس حَسُنَت، وسَمِنَت، وشار الدّابة عرضها للبيع، والمستشير الفحل الذي يعرف الحائل من غيرها(٥).

والمعنى العام الذي تدور حوله الاشتقاقات السابقة معنى واحد متقارب، وهو الحسن والجمال، ويلاحظ الانتقال الدلالي لهذه اللفظة التي كانت تدلّ على جمال الحيوان وشكله، ثمّ أصبحت تدلّ على الجمال الإنساني المادي، ثمّ انتقلت إلى الدلالة المعنوية لطلب المشورة من صاحب الخبرة والتجربة، فكأنّك بسؤالك المشورة، تجني شيئاً ثميناً كاجتناء العسل من الخلية.

ومن الاشتقاقات السابقة جاءت المشورة، وهي مبدأ إسلامي عظيم حثّ عليه النبي ﷺ وطبّقه بين أصحابه.

---

(١) آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) الشورى، الآية ٣٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٣٥٩.

(٤) سنن الترمذي، ج٥، حديث رقم (٢٨٢٢).

(٥) اللسان، مادة (شور).

ولم يكتسب أمراء المشورة في العصر المملوكي حقاً يخوّلهم حضور مجلس السلطنة، وإنما كان السلطان هو الذي يستدعيهم، فكان الواجب عليهم الحضور[1]، وفي مجلس السلطنة لا يتكلم السلطان بنفسه، إنّما يتكلم بلسانه "المشير"، والهدف من استعانة السلطان بالمشير الاحتفاظ بهيبة الملك؛ لأنّ السلطان إذا أدلى برأيه في المجلس ثمّ نقضه الأعضاء، كان في ذلك انتقاص من هيبته وإحراج لمركزه[2].

ويفهم من ذلك أنّ المشير في العصر المملوكي يتحدّث بلسان السلطان وبيان رأيه دون إحساس بأنّ الرأي رأي السلطان.

والمشير كلمة عربية، وتعني في التركية مارشال[3]. والمارشال رتبة عسكرية عليا.

ووظيفة المشير يقابلها في الوقت الحالي المستشار، وهو العالم أو الحكيم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي أو فني أو سياسي ونحو ذلك[4]، فيقال المستشار الخاص لجلالة الملك، والمستشار السياسي، وأمّا المشير فهي أعلى رتبة في الجيش العربي الأردني، وهي من الألقاب العسكرية في بعض الدول العربية كمصر والسودان وغيرها.

والفارق الدلالي بين "مُشِير" و "مُسْتَشار"، أنّ كلمة "مُشير" تطلق على مَنْ يقدّم المشورة، ويفهم منها أنّه يقدّم المشورة سواء أطلبت منه أم لم تُطلب. واستخدمت كلمة مستشار، فهي أكثر منها تخصيصاً في الدلالة في الوقت الحالي، وهو اسم فاعل من استشار أي طلب الاستشارة، وتفهم من لفظ مُستشار بأنّه لا يقدم المشورة إلاّ عند الطلب منه. فالمشير غالباً عسكري، والمستشار مدني.

ويلاحظ ممّا سبق الانتقال الدّلالي للفظة "مشير" من دَلالة سياسية إلى دلالة عسكرية لتدلّ على أعلى رتبة في الجيش.

---

(1) صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥.

(2) تاريخ المماليك البحرية، ص٢٠٩، نقلاً عن زبدة كشف الممالك، ص١٠٦.

(3) غرائب اللغة العربية، ص٢٧٦.

(4) معجم الوسيط، مادة شار.

- المَهْمَنْدار:

جاء في صبح الأعشى: "**المَهْمَندار هو الذي يتصدّى لتلقي الرّسل والعُرْبان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدّث في القيام بأمرهم، وهو مركّب من لفظين فارسيين؛ أحدهما مَهْمَن بفتح الميمين، والثاني دار ومعناه "ممسك"، ويكون معناه "ممسك الضيف"، والمراد المتصدّي لأمره**"(١).

والمَهْمَنْدار وظيفة عرفت في الدولة الفاطمية، ويطلق على صاحبها "نائب صاحب الباب"، ووظيفته في العصر الفاطمي مشابهة لوظيفته في عصر المماليك، حيث يقوم المهمندار باستقبال السفراء والعربان الوافدين على السلطان وينزل كلاً منهم في المكان اللائق بمركزه في دار الضيافة، ويعين من يقوم على خدمتهم ويرتّب لهم ما يحتاجون إليه، ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم إلاّ بأمر السلطان، وهو الذي يتقدّمهم في الدخول إلى الخليفة أو السلطان(٢).

وقد أتى القلقشندي بوصف لطريقة استقبال السفراء الذين يفدون في مهمّات رسمية من قِبَل الملوك، وعن كيفية نزولهم في دار الضيافة، وكيف كانوا يمثلون بين يدي السلطان لعرض ما معهم من الكتب(٣).

ويعرض البدراوي زهران لهذا النموذج من التراكيب المضافة إلى دار، ويذكر شرح القلقشندي لها، ويقول: "**وأمثلة هذا النموذج تؤكّد الرأي أنّ شرح القلقشندي ومعاصريه يعيد ترتيب العبارة ويحدد موقعية كلماتها وفق عرف العربية، وإنهم على إدراك واعٍ لهذا، ولكنه التأثّر والتأثير بين اللغات**"(٤).

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٨٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٨، ٥٩.
(٤) علم اللغة التاريخي، ص٣٠٦.

ويدلّ على ذلك من واقع المصرية المعاصرة عندما يقال "فلان مسك وظيفة، أو مسك موقع"، فيرى أنها انحدار من دلالة كلمة "دار" الفارسية بمعنى ممسك[1].

ويبدو أنّ مَهْمَن لفظ فارسي ومعناه "ممسك"، والدار لفظة عربية بمعنى المحلة، ويكون المعنى "ضيف الدار" الذي يحل على المملكة أو السلطنة، وخاصة أن (دار) ذات جذور آرامية، فدار في الآرامية "dayro" مسكن من " do" سكن[2]. فدار في العربية تعني المحل الذي يجمع البناء والساحة والمنزل المسكون والبلد، والقبيلة[3].

والاحتمال الآخر، أن تكون "مَهْمَن" أيضاً عربية الأصل وليست فارسية وهي من "المهيمن" وهو اسم من أسماء الله الحسنى بمعنى الرقيب المسيطر. ورد لفظ في الشعر الجاهلي في قول أميّة بن أبي الصلت[4]:

ملكٌ على عرشِ السماءِ مُهَيْمِنٌ تعنو لعزّته الوجوه وتسجدُ

وورد "المهيمين" في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الملك القُدُّوس السَّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار﴾ [5]. فالمهيمن اشتق من هَمَن، ومن معانيه: اسم من أسماء الله تعالى، الشاهد، ومن آمن من غيره من الخوف، وأصله مُؤَأمن بهمزتين، قلبت الثانية ياء كراهية اجتماعهما، فصارت مؤيمن، ثمّ صيّرت الأولى هاء كما في هراق وأراق وإياك وهياك، فصارت مهيمن[6].

والذي حصل في انتقال اللفظ من العربية إلى الفارسية، أن حذفت الياء من مهيمن، فأصبحت (مهمن)، والذي يحصل في انتقال كلمة من لغة إلى لغة أخرى، أن يجري تغييرٌ

---

(1) علم اللغة التاريخي، ص٣٠٦.
(2) غرائب اللغة العربية، ص١٨١.
(3) المعجم الوسيط، مادة دور.
(4) ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص٣٦١.
(5) الحشر، الآية ٢٣.
(6) اللسان، مادة (هَمَن).

على بنية الكلمة، ويتمّ ذلك بـــإبدال حـــروف أو زيـــادة حـــروف، أو نقصـــان أو التســـكين والتحريك[1]. وربمّا تكون (مهمن) من هذا الباب.

فالمهيمن، اسم فاعل بمعنى الأمين، الحافظ، المسيطر، القائم على الخلـــق، والرقيـــب والقائم على الكتب، وجمع بين اللفظين في الفارسية لتعطي دلالة على القائم بأمر الضيـــوف الوافدين على المملكة أو السلطنة. أمّا الوظيفة التي يقوم بها المهمندار في العصـــر الحـــاضر فيقابلها رئيس التشريفات. ويستنتج من ذلك، أنّ دلالة الوظيفة واحدة، ولكن حدث تغـــيّر فـــي التركيب المستخدم، إذ استعير عن هذا التركيب، بتركيب يحمل الدّلالة نفسها.

تبيّن ممّا سلف ذكره في هذا الفصل، أنّ هناك ألفاظاً مركّبة من الأعجمية والعربية، قد اندثرت وحلّ مكانها ألفاظ عربية مثل: الخاصكية، والطبلخاناه، والمهمندار، وبعض الـــتراكيب العربية أصابها اندثار كذلك واستبدلت بأخرى مثل: ديوان الإنشاء، كاتب الســـرّ، واســـتقرّت دلالة بعض الألفاظ، كما يبدو ذلك في لفظ المرسوم، واستمرّت بعض الألفاظ مع تغيير فـــي الدلالة كما في الطُغرى، والمشير، وزيادة على ذلك فإنّ ثمّة لفظاً قد خصّصت دلالته يتمثّـــل في لفظ الدستور، وثمّة لفظ آخر قد انحطّ دلالته وهو لفظ الحاجب.

---

(1) شفاء الغليل، ص٢٥.

خاتمة:

تبيّن بعد دراسة الألفاظ السياسية في "صبح الأعشى"، أنّ المجتمع في العصر المملوكي كان مزيجاً من العنصرين العربي والأعجمي، وبدا ذلك جلياً في الألفاظ المركّبة من الأعجمية، مثل: المَهْمَنْدَار، والألفاظ التي جمعت بين العربية والأعجمية مثل: الخَاصَكيَّة، والطَلْبَخَانَاه، وأمير آخور، وألفاظ مركّبة من العربية مثل: أمير مجلس، وأمير علم.

وهذه النتيجة تذكّر بظاهرة التأثر والتأثير بين لغات الشعوب على مختلف العصور، في بعض جوانب اللغة، كما يبدو ذلك في ظاهرة قلب الإضافة، فقد وردت تراكيب مخالفة لنهج العربية الصحيح من حيث تقديم المضاف إليه على المضاف، إذ كان يقال: الطبلخاناه، والسلاح خاناه، والسلاح دار، وكان القلقشندي بحسّه اللغوي يعيدها إلى بنائها العربي السليم فيضع المضاف قبل المضاف إليه، يقول "بيت الطَّبْل، وبيت السِّلاح، ومُمْسِك السِّلاح، وغيرها.

وقد أثر هذا في بعض الألفاظ العربية فيما يتعلّق بالتعريف والتنكير كما في (أمير مجلس)، و (أمير علم)، والأصل أن يُقال: أمير المجلس، وأمير العلم، وهذا ناتج عن التأثر والتأثير بين اللغات.

وتوصلت الدراسة إلى نتيجة ترتبط بباب التأصيل اللغوي لبعض الألفاظ التي كان يظنّ أنها ليست بعربية من مثل: البريدي، والديوان، والأمير، إذ جعلها بعض علماء اللغة القدامى ذات أصول فارسية، فتبيّن في ضوء الدراسة أنّها ألفاظٌ عربية.

وبعد استعراض الألفاظ السياسية وتتبع تطوّرها الدلالي تبيّن أنّ بعض تلك الألفاظ قد استمرت في دلالتها مع محافظتها على المعنى؛ والسبب في ثبات الدلالة هو استمرارية الوظيفة السياسية التي تؤدّيها هذه الألفاظ، ومن ذلك لفظ: (المُعَظَّم) الذي كان لقباً من ألقاب الملوك

رجال الدولة. وفي مقابل ذلك، فإنّ ثمة ألفاظاً قد اندثرت ولم تستبدل بـأخرى لتـؤدّي وظيفـة معينة؛ نظراً لعدم وجود الوظيفة التي كانت تؤدّيها سابقاً، كما يبدو في لفظي (كـاتب الدسـت، وكاتب الدَّرْج).

وثمّة ألفاظ استمرت في الاستعمال ونقلت دلالتها إلى دلالة أخرى كما يبدو فـي لفـظ (الأفخم) الذي كان من الألقاب الخاصة بمخاطبة الملوك، إذ أصبحت مـن الألقـاب الخاصـة برؤساء الدول والحكومات في العصر الحديث، ولفظ (المشير) الذي انتقل من دلالة سياسية إلـى دلالة عسكرية في العصر الحديث. وربّما يعود السبب في ذلك إلى استحداث ألفاظ أخرى فـي المجتمع تؤدي الدلالة التي كان يؤديها اللفظ سابقاً، إذ استبدل لفظ (المُستشار) بـ (بالمُشِـير)، ولفظ المعظم الذي اختصّ بالملك بدلاً من لفظ (الأفخم).

وثمّة ألفاظ قد خصّصت دلالتها في الوقت الحالي كما يبدو ذلك في لفظ (القُنْصُل) الـذي كان يطلق قديماً على زعيم النصارى، إذ أصبح الآن يدلّ على وظيفة دبلوماسية يقوم صاحبـها برعاية مصالح دولته في دولة أخرى، ومن أمثلة التخصيص الدلالي أيضاً لفظ (البريدي) الـذي كان يمثّل منصب السفير سابقاً، فقد خصّصت دلالته في نقل الرسائل في العصر الحديث، كمـا هو الحال في لفظ الدستور الذي خصصت دلالته في جميع الدول ليدلّ على مجموعة القوانيـن التي يقوم عليها الحكم.

ومن النتائج التي يمكن أن تضاف لما سبق، ملاحظة الرقي الدلالي للفظ (الملك) الـذي كان يقدّم عليه لقب (السلطان) في العصر المملوكي، بينما أصبح الآن لقباً أرقى ومركزاً أسـمى بين الحكام من ألقاب القيادة الأخرى وبخاصة الرئيس أو السلطان، ويمكن أن يُعزى ذلك إلـى أنها من أكثر الألقاب دلالة على الفخامة والمنزلة السامية للحاكم، وكثرة الدول التي تتبع النظـام الملكي بالمقارنة مع النظام السلطاني في الحكم، وعودة بعض الدول إلى هذا النظام كمـا هـو

الحال في دولة البحرين حديثاً، إذ استحدث لقب صاحب العظمة بعد أن أصبح نظامها ملكياً.

وفي مقابل الرقي الدلالي، فإنّ ثمة ألفاظاً قد أصابها انحطاط في الدلالة كما في لفظ (الحاجب) الذي كان من أخصّ المقرّبين للحكام ويعادل منصب رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، ثمّ أصبح الآن يطلق على البوّاب، ولفظ (الخليفة) الذي كانت دلالته السياسية سامية قوية منذ عصر صدر الإسلام فأصبح يطلق على الأشخاص الأقل شأناً في المجتمعات؛ كالحلاق، وعامل البناء في العراق على سبيل المثال، ويعود ذلك إلى تغيرات سياسية واجتماعية تتعرض لها المجتمعات في كل عصر من العصور.

واتّضح أيضاً، أنّ هناك تداخلاً دلالياً بين بعض الألفاظ، وتمثّل ذلك بالتداخل الديني والسياسي والعسكري كما يبدو في عدد من الألفاظ من مثل (الحضرة، والمشير، والسيّد، وخادم الحرمين).

وبعد، فإنّ هذه الدراسة المتواضعة لا تخلو من نقصٍ أو زلل وقع فيه الباحث، وما هي إلاّ خطوة أولى في مرحلة البحث العلمي، فإن أصبت فمن الله عزّ وجل، وإن أخطأت فحسبي من ذلك نصيب المجتهد.

جدول في الألفاظ الواردة في الدراسة وبيان التطوّر الدلالي الذي صاحبها

استمرار اللفظ مع المحافظة على المعنى	استمرار اللفظ وتوسع في المعنى	استمرار اللفظ مع رقي في الدلالة	استمرار اللفظ مع انحطاط في الدلالة
- خادم الحرمين الشريفين - السلطان - المرسوم - المعظم - المقام - الوزير - ولي العهد	- الحضرة - الرئيس - السيّد - الشريف - المقرّ - النائب	- الأمير - السامي - الملك	- الحاجب - الخليفة - الناظر
استمرار اللفظ وانتقاله إلى دلالة أخرى	اندثار التركيب واستبداله بتركيب يحمل الدلالة نفسها	استمرار اللفظ مع التخصيص الدلالي	اندثار تراكيب
- الأفخم - الصاحب - الطغرى - المشير - العالي	- أمير جاندار - أمير سلاح - الخاصكية - ديوان الإنشاء - الطبلخاناه - كاتب السرّ - المهمندار	- البريدي - الدستور - القنصل	- كتّاب الدست - كتّاب الدرج

المصادر والمراجع :

- الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين بن الأنباري، تحقيق حسن محمد، دار الكتب العلمية، ، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
- الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٥.
- الأحكام السلطانية والولايات العربية، علي بن محمد الماوردي ت ٤٥٠ هـ، دار الحرية بغداد، ١٩٨٩.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ حققه: علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
- البستان، معجم لغوي مطول، عبدالله البستاني مكتبة لبنان بيروت.
- بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، علي رؤوف سيد مرسي، ط١، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، ط٧، ١٩٦٤.
- تاريخ الخلفاء، السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن، ت ٩١١هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط) (د.ت).
- تاريخ الأمم والملوك الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.
- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ٥٥٢-٦٥٦هـ بدري محمد فهد مطبعة الإرشاد بغداد ٧٣ .
- تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت.
- تاريخ مكة دراسات في العلم والسياسة والاجتماع والعمران، احمد السباعي، ط٢، دار قريش، مكة، ١٣٨٠ هـ.
- تاريخ المماليك البحرية، على إبراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.

- تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسيني، دائرة الشؤون الثقافية العامة، آفـــاق عربيـــة، بغداد، ١٩٨٨.

- تحفة الوزراء، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي تـ ٤٢٩هـــ، تحقيـق حبيـب علـي الراوي، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧.

- التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، حسين خريوش، منشــورات جامعــة الـيرموك، ١٩٩١.

- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عبد القادر مرعي الخليل، ط١، ٢٠٠٢.

- التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، حققه سمير الدروبي ط١، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٢.

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصريـــة العامــة للكتــاب، ١٩٨٣.

- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمــد بــن جريــر الطــبري ت (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د. ط) (د.ت).

- تكملة المعاجم العربية، دينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة الجمهوريـــة العراقية، ١٩٧٨.

- التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفرقان، ١٩٨٦.

- الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب الأزدي البصري، ضبطه وخرّج أحاديثه محمـــد أدريس، راجعه وقدّم له، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبــة الاســتقامة، ســلطنة عُمان، ط١، ١٩٩٥.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٨٥.

- حاشية الصبّان، محمد بن علي الصبّان، شرح علي بن محمد الأشموني، تحقيق مصطفى حسـين أحمد، دار الفكر.

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧ .

- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرين، دار الفكر، القاهرة، مصـــر، (د.ط) (د.ت).

- الدخيل في الفارسي والعربية والتركية، معجم ودراسة إبراهيم السامرائي , ط١، مكتبـــة لبنـــان ناشرون، ١٩٩٧.

- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٩٨٣.

- دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، يحيى العبابنة، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠.

- الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق أحمد الخـــراط، ط١، دار القلم، بيروت، دمشق، ١٩٨٦.

- دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها ١٩٨٨.

- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، عبد العزيز الشناوي، ج١، مكتبة الأنجلو المصريـــة، القاهرة، ١٩٨٦.

- ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري فرحات، ط١، دار الجليل بيروت، ١٩٩٥.

- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، تـــ١٩٠ هـــ حققه بدر الدين حاضري، و محمد حمــــامي، ط١، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز ؟

- ديوان امرئ القيس، تحقيق أنور أبو سويلم، وعلي الهروط، ط١، دار عمار، عمان، ١٩٩١.

- ديوان أمية بن أبي الصلت (ت٩هـــ)،جمع وتحقيق : عبد الحفيظ السلطي، ط٢، دمشق، ١٩٧٧.

- ديوان أوس بن حجر، حققه محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

- ديوان الحطيئة، جرول ابن اوس، تحقيق نعمان طه، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصـــر ١٩٥٨ .

- ديوان الخنساء، حققه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

- ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه، داينهرت فابيرن،إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشـــرقية دار النشر: فرانتس شتانز، بفيسبادن، بيروت، ١٩٨٠.

- ديوان زهير بن أبي سلمي، شرحه وقدم له، على حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ .
- ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ديوان الصعاليك، شرح يوسف فرحات،ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ .
- ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق، درية الخطيب، لطفى الصقال، ١٩٧٥.
- ديوان الطغرائي، أبو اسماعيل الحسين بن علي (ت ٥١٥هـ)، تحقيق علي جواد طاهر، يحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام العرقية، ١٩٧٦.
- ديوان طفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨.
- ديوان عامر ابن الطفيل، رواية أبي بكر الأنباري، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار كنان، دمشق ١٩٩٤.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح، حسين نصار مكتبة ومطعية، الحلبي مصر، ١٩٥٧.
- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٥.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.
- ديوان المهلل بن ربيعة، شرح وتحقيق، انطون محسن القوّال، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٦.
- ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦.
- ديوان النابغة الشيباني، حققه عبد الكريم إبراهيم يعقوب، ط١، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٧.
- ديوان الهذليين، الدار القومية للنشر، القاهرة، ١٩٦٥ .
- رسالة رصف الفريد في وصف البريد، أحمد بن أبي الفتح الشيباني، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمّان، ط١، ٢٠٠٢.
- رسوم دار الخلافة، أبو الحسين بن هلال الصابئ (ت ٤٤٨ هـ) حققه ميخائيل عواد، مطبعة العاني، ١٩٦٤.

- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،(ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار القلم.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني(ت ٢٧٥)، مراجعه وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر.
- سنن الترمذي، الجامع الصحيح عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة، تـ ٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ .
- سنن النسائي، الحافظ أبي عبد الله احمد بن دينار، تـ٣٠٣هـ، دار الجيل، بيروت.
- شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، الشيخ أحمد (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة مصطفى البـابي، ط١٩، مصر ١٩٧٢.
- شرح ديوان جرير، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بـيروت لبنان، ١٩٨٦.
- شرح ديوان حسّان بن ثابت (ت ٥٠ هـ)، حققه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- شرح ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق رحاب عكاوي، ط١، دار الفكر العربي، بـيروت، ١٩٩٦.
- شرح ديوان عنترة بن شداد، تـ ٦٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ .
- شرح ديوان الفرزدق، تحقيق إيليا حاوي، ط٢ الشركة العالمية للكتاب.
- شرح ديوان قيس بن الملوح، تحقيق رحاب عكاوي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وشرح إحسان عباس، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤.
- شرح اللمع في النحو، الواسطي القاسم بن محمد بن مباشر (من علماء القرن الخامس الهجري)، حقّقه رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، ط١، الشـركة الدوليـة للطباعـة، القـاهرة , ٢٠٠٠.
- شعر السموأل، حققه وشرح، عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت.
- شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع و تقديم داود سلوم، ج٣، القسم الثـاني، مكتبـة الأندلـس، بغداد، ١٩٦٩.

- شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفـــاجي ت(١٠٦٩) تصحيـــح وتعليـــق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة أكرم الحســيني التجاريـــة الكـــبرى، القـــاهرة، ١٩٥٢.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـــ) نســخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبــد الغفــور العطار ط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.
- صحيح ابن حبان، الإحسان في تقريب بن حبان البستى تـــ ٣٥٤هـــ حققه وشرح أحاديثه شـعيب الارناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨ .
- صحيح البخاري،.أبي عبد محمد بن اسماعيل، دار الفكر، ١٩٨١.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحافظ السيوطي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٦٩.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسبوري، تـــ ١٦١هـــ ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ .
- صناعة الكتاب، أبو جعفر احمد بن النحاس، تحقيق احمد بدر ضيف، ط١، دار العلوم العربيـــة بيروت، ١٩٩٠ .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت.
- العرب والعثمانيون، عبد الكريم رافق، ط ١، دمشق، ١٩٧٤.
- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ط١، أزمنة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨.
- غرائب اللغة العربية، رفائيل نحلة اليسوعي، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي تـــ ٤٢٩هـــــ، تحقيـق فـــائز محمد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة.

- فهارس لسان العرب، احمد أبو الهيجاء خليل عمايرة، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٧.
- في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة في عمان.
- في علم اللغة التاريخي، دراسة تطبيقية على عربية القرون الوسطى، البدراوي زهران، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٢.
- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن الشيباني المعروف بابن الاثير، ت ٦٢٠ هـ، دار صادر بيروت، ١٩٨٢
- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، السيد ادّي شير، المطبعة الكاثولكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.
- كتاب التعريفات، للجرجاني،علي بن محمد الشريف، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١.
- كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السبعة، كمال الدين أبي الفضل بن القوطي البغدادي، (ت ٧٢٣) وقف على تصحيحه والتعليق عليه، مصطفى جواد، المكتبة العربية، بغداد ١٣٥١ هـ.
- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٠هـ.
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي القريزي، تحقيق، سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة الثانية، إيران،١٤٠٩ هـ.
- كتاب الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد الحمصي، جروس، برس، ط١، لبنان، ١٩٩٤.
- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢.
- كتاب الكليات، أبو البقاء الحسيني ت(١٠٩٤) حققه عدنان درويش، محمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢.

- كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحمن بن شيت القرشي (٦٢٥) تحقيق، محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- الكواكب الدريّة في السيرة النوريّة، تاريخ السلطان نور الدين زنكي، بدر الدين بن قاضي شهبة، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧١.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، ط٣ دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٤.
- اللغة والمجتمع، رأى ومنهج، محمود السعران، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٣.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٦
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله، ط٤، دار النفائس، بيروت.
- المخصص، ابن سيدة أبو الحسن علي ابن إسماعيل النحوي ت ٤٥٨، تحقيق لجنة إحياء دار التراث العربي، بيروت، لبنان.
- محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣.
- المذكر والمؤنث، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق حاتم الضامن، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ١٩٩٧.
- مذكرات الملك عبد الله، نشر أمين أبو الشعر، ١٩٦٥.
- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد النيسبوري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، لبنان ١٩٩٣.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي الخليل، ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٣.

- مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، ط١، سميح دعيم، مكتبة لبنان، ٢٠٠.
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المماوكي، محمد أحمد دهمان، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠.
- معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة..
- المعجم العبري الحديث، ربحي كمال، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.
- معجم المصطلحات السياسية، محيي الدين هلال وآخرون، ط١، تحرير وتقديم نفين مسعد، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٩٤.
- معجم متن اللغة، أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.
- معجم العالم الإسلامي، كلوس كريز وآخرون، ترجمة كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- معجم المصطلحات السياسية، علي هلال وآخرون، ط١، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٤.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء الكتب، ١٣٦٦ هـ.
- المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط٢.
- المفضليّات، المفضّل الضبي، تحقيق محمد أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
- مفهوم الملك في المغرب، محمد ولد دادة، ط١، دار الكتب اللبنانية، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٧.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، نسخة محقّقة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخري الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥.

- المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للمازني، ط١، تحقيق ابراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٤.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- الموسوعة الإسلامية الميسرة، المشرف العام محمود عكام، دار صحارى، دمشق .
- موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، حسن حنفي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨٦.
- موسوعة السياسة، عبد الوهاب كيالي، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.
- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والمعارف، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.
- من كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، اختار النصوص وعلق عليها شوقي أبو خليل، ط٢، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر دمشق، ١٩٩٧.
- المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة الأعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١، السعودية، ١٩٩٦.
- المولد في العربية، حلمي خليل، ط٢، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٨٥.
- النابغة الجعدي حياته وشعره، خليل أبو ذياب، ط١، دار القلم دمشق، المنارة، بيروت، ١٩٨٧ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد زينهم، ومحمد عزت، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١.

- نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، حسين عطوان، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ .

- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

- الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠.

- الوثاق الأردنية، الوزارت الأردنية (١٩٢٣-١٩٩٣)، جمع أحمد القضاه، تحقيق عيسى أبو سويلم، منشورات دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٩٣.

- الوثائق السياسة والإدارية للعصر المملوكي، محمد ماهر حمادة، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.

- الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين الملك الأول، إعداد وتحرير، محمد عدنان البخيت، ورندة نصري، منشورات جامعة آل البيت، الشركة العربية الأردنية للصحافة والنشر، ١٩٩٣.

الرسائل الجامعية:

- أبو العبّاس القلقشندي أديباً، أحمد عبد الرحمن الذنيبات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠١.

- الألفاظ الحضارية وخصائصها اللغوية عند الكميت بن زيد الأسدي، سعيد حَوزَه، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٠.